

آيات العقيدة التي قد يوهم ظاهرها التعارض
في صفات الله تعالى ، جمعاً ودراسة

إعداد

أ/ حياة حمد الحمادي

محاضرة بكلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

جامعة أم القرى

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام ، وجعل القرآن حُرّاً حصيناً للأمة؛ كيلا تفصل بها الأوهام، أو تنزل بها الأقدام، وضأن كتابه من الاختلاف؛ فكان في دقة بيانه فصل الخطاب عند الاختصاص، ولو كان من عند غيره لظهر فيه الخلل وعدم الانسجام أحمد - سبحانه - وأشكره على سوانح نعمة العظام، ومنته الجسام. وأصلي وأسلم على سيدنا محمد نبي الرحمة وسيد الأنام، وعلى آله وصحبه الأئمة الأغلام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الجزاء.

أما بعد...

فإن من أعظم المنّة والفضل من الله على خلقه: أنه أرسل إليهم رسلاً يهدوهم إلى الصراط المستقيم، ويدلوهم على الحق المبين، وكان فضل الله عظيماً على أمة المسلمين أن أرسل فيهم محمداً ﷺ، وأكرمهم بالقرآن العظيم، بقسوم فطريهم، ويهدي قلوبهم، ويزيح الغشاوة عن عيونهم، ويترع الشرك من أعماقهم، ويُبديهم لله رب العالمين، فكان المسلمون بهذا القرآن هم وحدهم الذين يحملون راية الحق إلى الإنسانية، ويرفعون مشعل النور في داحر الظلام؛ حيث يتخبط الناس في ظلمات الابدائ الفاسدة، والمقائد الضالة، والدعوات الهدامة.

فالقرآن الكريم هو أكمل الكتب وأهداها، وقد حوى بين دفتيه ما يأخذ بيد الإنسان إلى شاطئ الأمان في حياته وبعد مماته، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة يحتاجها المرء في معاشه ومعاذه إلا بينها ووضحها، وبين وجه الحق فيها؛ مع سهولة اللفظ، وجزالة العبارة، وإيجاز القول، وهذا لم يتوفر لكتاب سواه، ولم يكن لأمة غيرنا والحمد لله.

ولما كان كتاب الله بهذه الثابتة أدرك أعداء الإسلام خطره عليهم فما فتسوا يكيدون له؛ فأنشأوا الشبهات والأباطيل حوله، وليست هذه المحاولات وليدة هذا العصر، وإنما هي ممتدة عبر التاريخ الإسلامي، ومواكبة لحياة الرسول ﷺ، حمل لواعها الوثنيون واليهود والنصارى من أعداء الاسلام أجيالا بعد أجيال إلى يومنا هذا الذي ابتلي فيه المسلمون بالمستشرقين ومن تبع مجهم ممن اغتر بالمادة، وغلف بمواجهها مشاعره، فراح يكرر سالف مقالات المتدعة، بعيدا عن التحقيق والتدقيق، فاغتر بتلك الشبهات كثير من جهلة المسلمين الذين لا علم لهم بتحقيق تلك الطعون والشكوك.

ومن بين هذه الشبهات والأباطيل: الادعاء بأن بين آيات القرآن الكريم تناقضاً وتعارضاً؛ حيث ذهبوا يضربون بعض آيات القرآن ببعض، ويشككون في تناسقها وتلاؤمها، وهذا بلا شك ادعاء باطل وحطير أرادوا به - أو أراد به بعضهم - هدم الدين، وإيجاد العراقيل والخواجز بين المسلمين ومصادرهم الأصلية؛ ولكن علماء المسلمين وفرسان الشريعة وحراس الملة كانوا لهم بالمرصاد؛ فأبطلوا شبهاتهم، وأبسانوا زيفها، وردوا كيدهم إلى غورهم، فحزاهم الله عن الإسلام والمسلمين عبر الجزاء.

ومن هنا تبرز أهمية هذا الموضوع، وحاجة المسلمين إليه؛ حيث إنه يتعلق بالمصدر الأول للمسلمين، وهو القرآن الكريم، وأهم جانب من جوانب الدين الإسلامي، ألا وهو جانب العقيدة، وفي أهم مسائلها وأعظمها وأفضلها وأصلها وأشرفها إنه موضوع الصفات الإلهية؛ ولا يخفى على كل ذي لب سليم بأهمية الموضوع وحاجته للدراسة والبحث؛ إذ الموضوع له صلة وثيقة بتفسير آيات كتاب الله تعالى، وبالأخص تفسير آيات صفاته تعالى، والدفاع عنها وبيان توافيقها وعدم تعارضها؛ لذلك رغبت في المشاركة في خدمة كتاب الله، وذلك بالبحث في الآيات التي قد يتوهم من ظاهرها التعارض في صفات الله تعالى، للإسهام في إزالة ذلك التعارض المتوهم، وذلك حسب القواعد والأسس التي رسمها أهل العلم لدفع التعارض.

أسباب اختيار الموضوع:

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب وهي كالتالي:

(١) التقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - بخدمة كتابه الكريم، وذلك بإزالة ما يتوهم من تعارض بين آياته، وبيان توافيقها، وألما في غاية التناقض والانسجام.

آيات العقيدة التي قد يوهم ظاهرها التعارض في صفات الله تعالى

- (٢) أهمية هذا الموضوع؛ لتعلقه بالمصدر الأول للمسلمين وهو القرآن الكريم، وبأهم جانب من جوانب الدين الإسلامي، ألا وهو جانب العقيدة، وفي أهم مسائلها وأعظمها، وهي صفات الله تعالى.
- (٣) الرد على أعداء الإسلام - من جهة وزنادقة - الذين ادعوا تناقض آيات القرآن الكريم وتعارضها ببرد شبهاتهم واقتراءهم الباطلة.
- (٤) حاجة المسلمين للكشف عما يلتبس عليهم من توهم بعضهم وجود تعارض بين بعض آيات القرآن الكريم في جانب العقيدة وبيان أن ذلك التعارض المتوهم إنما هو في نظر الناظر، أما في الحقيقة فليس ممة تعارض.

أهداف البحث:

- وإن أمل من راء هذا البحث تحقيق عدة أهداف أخصها فيما يلي:
- (١) إفراء الآيات التي قد يتوهم من ظاهرها التعارض في صفات الله تعالى بالتصنيف.
- (٢) الإسهام في إزالة التعارض المتوهم بين بعض آيات القرآن الكريم.
- (٣) بيان فساد منهج الاستدلال عند الفرق الضالة الذين لا يجمعون بين أطراف الآيات، والنصوص في المسألة الواحدة.
- (٤) بيان تناسق آيات القرآن وتوافقها، وأن التعارض المتوهم بين آيات القرآن إنما هو في نظر الناظر وفهمه، وأما في الحقيقة فليس ممة تعارض - كما أسلفت.
- (٥) تخليص ذهن شبهات الزنادقة وغيرهم تجاه القرآن الكريم.

منهج البحث:

اتبع في هذا البحث منهجين أساسيين هما:

- (١) المنهج الاستقرائي: ويظهر في تتبع واستقراء الآيات التي قد يتوهم من ظاهرها التعارض في صفات الله تعالى.
- (٢) المنهج التحليلي: ويتمثل في تحليل معاني الآيات التي قد يتوهم من ظاهرها التعارض في صفات الله تعالى وذلك ببيان وجه التعارض المتوهم بين هذه الآيات، ثم الاستعانة بأقوال العلماء المتفهمين والمتأخرين؛ وذلك بغية حصر أوجه الجمع بين هذه الآيات لدفع التعارض المتوهم، ثم الترجيح بين تلك الأقوال ما أمكن؛ مع ذكر أسباب الترجيح وتقرير مذهب السلف في تلك المسائل بإيجاز ومناقشة الأقوال المرحوجة وبيان ضعفها.
- وقد يقتضي المقام عرض الأقوال المخالفة لأهل السنة والجماعة، وذكر أدلتهم ووجه الاستدلال بها على مذهبهم الفاسد، ثم الرد عليهم وتفنيد آرائهم وبيان فسادها بالأدلة الثابتة الصحيحة، ويكون ذلك بعرض أقوالهم ووجه استدلالهم بآيات الصفات على مذهبهم الفاسد عند بيان وجه التعارض المتوهم؛ وذلك لعدم وضوح الوجه السوهم للتعارض إلا بذكر وجه استدلالهم بتلك الآيات، أما الرد عليهم فذكرته في الترجيح.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث تسبقها المقدمة فالتمهيد، وتتلوها الخاتمة والفهارس:

المقدمة: تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته، والأهداف المنشودة منه، والمنهج الذي اتبعته خلال هذا البحث، وخطة البحث.

التمهيد: منهج السلف في باب الأسماء والصفات.

المبحث الأول: ما جاء في صفة العين لله تعالى، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض وبيان الوجه الموهم للتعارض.

- المطلب الثاني: مذاهب العلماء في دفع هذا الإيهام.

المبحث الثاني: ما جاء في صفة المعية لله تعالى، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض وبيان الوجه الموهم للتعارض.

- المطلب الثاني: مذاهب العلماء في دفع هذا الإيهام.

المبحث الثالث: ما جاء في رؤية المؤمنين يوم القيامة، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض وبيان الوجه الموهم للتعارض.

- المطلب الثاني: مسالك العلماء في دفع هذا الإيهام.

- المطلب الثالث: الترجيح.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث؛ بالإضافة إلى التوصيات .

الفهارس وتشتمل على :

١ - فهرس المصادر والمراجع.

٢ - فهرس الموضوعات.

وبعد: فهذا ما تيسر جمعه ويختمه، وقد بذلت فيه غاية جهدي، وأرجوا أن أكون قد وفقت فيه للصواب ، وأن

يكون خالصاً لوجهه الكريم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

التمهيد

منهج السلف في باب الأسماء والصفات

إن باب الأسماء والصفات من أجل أبواب التوحيد وأشرفها وأعظمها قدراً؛ لتعلقه بذات الرب - سبحانه - وأسمائه وصفاته.

وهو في الوقت ذاته من أكثر أبواب الاعتقاد التي زلت فيها الأقدام، وضلت فيها الأفهام، وانقسم فيه الناس إلى أهل تحييل وتأويل، وأهل تجهيل وتمثيل، وهدى الله - عز وجل - فيه أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة ومن سار على نهجهم إلى سواء السبيل.

وقد قام منهج السلف الصالح - رحمهم الله - في هذا الباب على قواعد مثلثية دلت عليها نصوص الكتاب والسنة، تتميز منهجهم بموافقة لصحيح المنقول، وصريح المعقول؛ مع سلامته من التناقض والتعارض والاضطراب والاختلال.

وبما لا يخفى أن الأصل في هذا الباب العظيم هو: أن يوصف الله - سبحانه - بما وصف به نفسه في كتابه العزيز، وبما وصفه به رسوله ﷺ إيجاباً ونفيّاً، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل.

بل يجب الإقرار بجميع الأسماء والصفات الواردة في القرآن والسنة الصحيحة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة؛ لا على الخازر.

كما يجب أن يعلم أن لهذه الصفات حقائق ومعانٍ متغايرة ومختلفة، كل صفة لها معناها وكيفيةها وماهيتها، فأما معانيها معلومة معروفة علمها من غلبها، وجعلها من جهلها، وأما كيفيةها وماهيتها فلا يعلمها إلا الله - عز وجل - ، فكما أننا لا نعلم كنه ذاته، فكذلك لا نعلم كنه صفاته، فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

وليسه إلى أن نفينا العلم بالكيفية لا يلزم منه نفي وجود الكيفية ولا يقصد به ذلك؛ بل ثبت أن لصفات الله - عز وجل - كيفية؛ وإنما تنفي علم الخلق بهذه الكيفية، وهذا المسلك هو مسلك السلف وأئمتهم حلفاً عن سلف، لاحقاً عن سابق، مُستظهر ذلك في كتبهم ودواوينهم، محموط من أفواههم وأقوالهم؛ بل قد أجمعوا عليه قاطبة كما حكاه عنهم جماعة من أهل العلم؛ أذكر منهم ما يلي:

١- محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة، فقد صرح باتفاق الفقهاء على ما جاءت به النصوص من صفات الله عز وجل حيث قال:

"اتفق الفقهاء من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة" (١).

٢- ابن خزيمة فإنه قال:

"نحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وقناة اليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا: أننا ثبتت لله ما أثبتته الله لنفسه، نقر بذلك بالسنن، ونصدق ذلك بقولنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، تعالى رسا أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدماً كما قاله المبطلون؛ لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجاهلون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصفها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ" (٢).

٣- حافظ المغرب ابن عبد البر فإنه قال:

"أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن، والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على الخازر؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع كلها والخوارج فكلهم ينكرونها

(١) نقل ذلك عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٦٦/٢).

(٢) التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، (٢٦/١).

ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويؤمنون أن من أقرها مشبه، وهم عند من أثبتوها سافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله^(١)

وقد حالف مذهب السلف - كما تقدم - أربع طوائف وهم: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التمثيل، وأهل التجهيل.

فأما أهل التخييل فهم المتفلسفة^(٢) ومن سلك سبيلهم، من متكلم، ومتصوف^(٣)، ومتفقه، فلأنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق؛ لينتفع به الجمهور؛ لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق.

وأما أهل التأويل فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول ﷺ أن يعتقد الناس ما ظهر من معانيها؛ ولكن قصد بها معاني، ولم يبين لهم تلك المعاني، ودلهم عليها؛ ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بمقوله، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصودها امتحانهم، وتكليفهم، وإتمام أدهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرف الحق من غير جهته.

وهذا قول المتكلمة والجهمية، والمعتزلة، ومن دخل معهم في شيء من ذلك. ومن أمثلة تأويلاتهم الباطلة: تأويل الوجه بالذات، والعين بالعلم، واليد بالنعمة، والاستواء بالاستيلاء.

أما أهل التمثيل فهم المشبهة الذين شبهوا صفاته - عز وجل - بصفات خلقه؛ كمتقدمي الرافضة^(٤) ونحوهم.

(١) التمهيد (١٤٥/٧)

ومن حكي الإجماع - أيضاً - الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص (٨٣)، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (٤٨٢، ٤٨٣/٢)، وابن تيمية في شرح العقيدة الأسمهانية ص (٢٤، ٢٥)، وفي مجموع الفتاوى (١٣٩/٦، ٦٣٠)، والمنهاج (١٢٩/٣).

(٢) الفلسفة باليونانية: عمة الحكمة، والفيلسوف هو: فيلا وسوفا. و "فيلا" هو المحب، و "سوفا": الحكمة. أي هو محب الحكمة. وصار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختص بمن خرج عن دانات الأبياء، ولم يذهب إلا لما يقتضيه العقل في رعه.

أما بالنسبة لندمهم فهو قائم على أن العالم قديم، وأنه ليس له ما هبة ولا حقيقة - تعالى الله عن ذلك - فهم يسمون صفات الله تعالى وقدرته ومشيتة، ويكرمون اليوم الآخر والقرآن الكريم. والحاصل أن الفلاسفة لم يؤمنوا بالله تعالى ولا رسوله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر. انظر: التنصير في الدين للاسفرابي ص (١٥٠)، الملل والحلل للشهرستاني (٣٦٩/٢، ٣٧٠)، إعانة المسهف من مصائد الشيطان لمحمد بن بكر بن قيم الجوزية (٢٧٦، ٢٧٥/٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للسراري (١٢٦-١٢٩)، شرح العقيدة الطحاوية (٢٥٥/٢، ٢٥٦).

(٣) لفظ المنصورة أو الصوفية لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة المفضلة؛ وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد اختلف في أصل كلمة الصوفية واشتقاقها على أقوال كثيرة، رجع شيخ الإسلام ابن تيمية أنه سعة على ليس الصوف.

وقد كانت بداية التصوف عبارة عن الزهد في الدنيا، والتسلق والعبادة، وتفرغ القلب من غير الله، ثم انصرف مفهوم التصوف شيئاً فشيئاً، حتى انتهى على القول بعقائد باطلة؛ كالحلول والاتحاد، وترك الواحبات، وفعل المحرمات، وغير ذلك. انظر: تلبس إبليس لأبي العرج عبد الرحمن بن الحوزي البغدادي ص (٢٢٣) وما بعدها، مجموع الفتاوى (٧/٦) وما بعدها.

(٤) الرافضة: اسم يطلق على كل من رفض إمامة الشيخين: أبي بكر وعمر، وقدم عليهما علياً - رضي الله عنهم أجمعين - وكان سبب هذه التسمية وأول ظهورها أنه لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك اتبعه الشيعة وسألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتولاهما وترحم عليهما، فرفضه قوم منهم فقال: رفضتموني رفضتموني، فسموا الرافضة، وقد اختلفت الرافضة بعد ذلك إلى أربع فرق: ريدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة، واختلفت هذه الفرقة إلى فرق أخرى كثيرة.

ومن عقائد الرافضة: أن النبي ﷺ قد نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلمه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ، وأن الإمامة لا تكون إلا بسنن وتوقيف... إلخ. انظر: مقالات الإسلاميين (٨٩/١)، الفرق بين الفرق ص (٢١)، الملل والحلل (١٥٥/١)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص (٥٩-٧٩)، مجموع الفتاوى (١٣/٣٥).

فهؤلاء ظنوا أن اتفاق الصفات في الأسماء يستلزم اتفاقها في المسميات وهذا ظن باطل، ففهموا من نصوص الصفات أن الله - سبحانه - صفات مثل ما للمخلوقين، وظنوا أن لاهقيقة لها إلا ذلك، وقالوا: عبال أن يحاطبته الله بما لا نعقله، ثم يقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣] ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] ﴿يَلَذَّيْبُوا أَبْنِيَّوِ﴾ [ص: ٢٩]

وأما أهل التحجيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة واتاع السلف، يقولون: إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك. وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله؛ مع أن الرسول ﷺ تكلم به ابتداء، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه. وطريقتهم في نصوص الصفات: إمرار لفظها مع تفويض معناها؛ قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا نعقل معناها ولكن نقرؤها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله، وهي عندنا بمحولة: ﴿كَهَيْعَصَ﴾ [مرم: ١] و﴿حَمَرٌ عَسَقَ﴾ [الشورى: ١ - ٢] فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهاً، ولم نعرف معناه، وننكر على من تأوله، ونكل علمه على الله تعالى ^(١).

ويتضح لنا أن هذه الطوائف الأربعة قد انخرقت عن الطريقة الصحيحة في صفات الله - عز وجل -، وخالفت مذهب أهل السنة والجماعة، ولقد تصدى لهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - يرحمهما الله - وغيرهما للرد عليهم، وبينوا فساد مذاهبهم وبطلانها ^(٢).

وعما يجدر الإشارة إليه أنني سوف أتناول في هذا البحث بعض صفات الله تعالى التي قد يوهم من ظاهرها الآيات المثبتة لها التعارض والتناقض وسأذكر أقوال العلماء في دفع ذلك التعارض المتوهم ثم الترجيح بين تلك الأقوال، أما بالنسبة للأقوال المخالفة لأهل السنة والجماعة فقد ذكرتها عند بيان وجه التعارض - كما بينت ذلك في منهج البحث.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣/٣-٢٥) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن القيم الجوزية الدمشقي ص(٥٣-٥٥).

(٢) انظر: الرد على هذه الطوائف في مجموع الفتاوى (٢٠/٣-٧٨) التدمرية ص(٣٦-٤٢)، درء تعارض العقل والنقل والفصل له أيضاً (١٦٤/١) وما بعدها مختصر الصواعق المرسلة ص(٥٣-٨٢)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدررة المضية في عقيدة الفرق المرحبة محمد بن أحمد السفاريني (٢٣٩/١-٢٤١) وغيرها

المبحث الأول

ما جاء في صفة العين لله تعالى

المطلب الأول : ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض وبيان الوجه الموهم للتعارض :

أولاً : ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض :

وردت صفة العين مضافة إلى الله - عز وجل - في القرآن الكريم بصيغتين :

إحداها : صيغة الجمع وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور : ٤٨] وقوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴾ [القمر : ١٤]

والثانية : صيغة الإفراد وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَنُصَنِّعَ لَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [طه : ٣٩] .

ثانياً : بيان الوجه الموهم للتعارض :

إن الآيات الأولى جاء فيها لفظ "العين" بصيغة الجمع، وقد يفهم منها البعض أنها تدل على أعين كثيرة؛ فيتوهم أنها تتناهي الآية الأخرى التي جاء فيها لفظ العين بصيغة الإفراد؛ إذ قد يفهم منها أنها تدل على عين واحدة.

المطلب الثاني : مذاهب العلماء في دفع هذا الإيهام :

لم يتعد أهل العلم في هذه المسألة مذهب الجمع، فلم يسلك واحد في الجمع بين الآيات السابقة وهو المستعين - والله تعالى أعلم - ، وهو ما ذهب إليه ابن القيم^(١) والهراس^(٢) وابن عثيمين^(٣) ، وأشار إليه الأنصاري^(٤) .

وهو أنه لا تنافي بين الآيات السابقة؛ وذلك لأن المفرد المضاف يعم ؛ فيشمل كل ما ثبت لله من عين.

ودليل عموم المفرد قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّكُمُ الْإِنْسَانُ لَظَالِمُونَ كَفَّارًا ﴾ [إبراهيم : ٣٤] — "نعمة" مفرد مضاف ، فهي تشمل كثيراً ؛ لقوله { لا تحصوها } وقوله : ﴿ أَوَلَمْ لَكُمْ لَيْلَةُ الْفَيْسَارِ أَزِفَتْ إِنَّ يُكَايِبُكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٧]

أما بالنسبة للجمع فإنه لا يراد به حقيقة معناه - وهو الثلاثة فأكثر - ؛ بل المراد به - والله أعلم - التعظيم والمناسبة أي : مناسبة المضاف للمضاف إليه ؛ فإن المضاف إليه - وهو "نا" - يراد به هنا التعظيم قطعاً ، فناسب أن يؤتى بالمضاف بصيغة الجمع ليناسب المضاف إليه ؛ فإن الجمع أدل على التعظيم من الإفراد والتثنية ، وإذا كان كل من المضاف والمضاف إليه دالاً على التعظيم حصل من بينهما تعظيم أبلغ.

أما بالنسبة لحقيقة العدد فالعلم به عند الله تعالى ؛ لأنه لم يرد نص صريح في القرآن الكريم أو في السنة النبوية يدل على أن الله سبحانه عيني الثنتين لا زيادة ؛ ولكن قد فهم كثير من العلماء من قوله ﷺ في حديث عبدالله بن عمر - رضي

(١) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتظة (٢٤٦/١-٢٦٨).

(٢) انظر: العقيدة الواسطية بشرح المراسن ص (١٥٠).

(٣) انظر: العقيدة الواسطية بشرح ابن عثيمين (٣٢١/١).

(٤) انظر: فتح الرحمن بكتف ما ينسب في القرآن ص (٢٢٧).

آيات العقيدة التي قد يوهم ظاهرها التعارض في صفات الله تعالى

الله عنهما - قال: ذكر النبي ﷺ يوماً بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال: "إن الله ليس بأعور" (١)، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كان عنه عبء طافية (٢) (٣) أن الله تعالى عيّن اثنين لازيادة.

وذلك لأنه لو كان الله أكثر من اثنين لكان البيان به أوضح من البيان بالعمور؛ ولأنه لو كان الله أكثر من عيّنين لقال: إن ربكم له أعين؛ لأنه إذا كان له أعين أكثر من اثنين صار وضوح أن الدجال ليس برب أي.

كما أنه لو كان الكمال في أكثر من اثنين لاتصف بها سبحانه؛ لأنه تعالى له من كل الصفات أكملها بشئ صور الكمال، - وأيضاً - لو كان الله أكثر من عيّنين، لبيّنهما الرسول ﷺ؛ لنلا يفوتنا اعتقاد هذا الكمال، وهو الزائد على العيّنين الاثنين (٤).

قال ابن القيم - رحمه الله - : "وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة، ليس إلا كما يقول القائل: أفعل هذا على عيني، وأحييتك على عيني، وأحمله على عيني، ولا يريد به أن له عيناً واحدة، فلو فهم أحد هذا من ظاهر كلام المخلوق لعد أعرج، وأما إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهراً أو مضمراً فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ؛ كقوله ﴿يَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءُ لِمَن كَانَ كُفْرًا﴾ [الفر: ١٤]، وقوله: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَعْجَلْ بِالْذِّكْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [هود: ٣٧] (٥).

وقال أيضاً - رحمه الله - : "وقول النبي ﷺ "إن ربكم ليس بأعور" صريح في أنه ليس المراد إنسان عين واحدة ليس إلا؛ فإن ذلك عور ظاهر، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! وهل يفهم من قول الداعي: "اللهم احسننا بعينك التي لا تنام" أنها عين واحدة إلا ذهن ألقف، وقلب أغلف" (٦).

ومن قال من العلماء بأن الله سبحانه عيّن اثنين لازيادة: ابن خزيمة - رحمه الله -؛ حيث قال في "كتاب التوحيد" بعد أن ذكر جملة من الآيات التي تثبت صفة العين:

"فواجب على كل مؤمن أن يثبت خالقه وبارئه ما أثبت الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله - تبارك وتعالى - ما قد أثبتته الله في محكم تنزيله ببيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبيّناً عنه - عز وجل - في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ يُشَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحل: ٤٤]، فينبغي أن الله عيّن، فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التنزيل" (٧).

(١) العمور عرفاً: عدم العين، وخشد العمور ثبوت العين، وهو ذهب حمى إحدى العينين انظر: لسان العرب (٣٣٠/١٠)، القاموس المحيط ص (٤٤٦)، كلامها مادة (عمور)، فتح الباري لابن حجر (٣٩٠/١٣).

(٢) عبء طافية: هي الحبة التي حرحت عن حدة بنة أخواتها؛ فظهرت من بينها وارتفعت. وقيل: أراد به الحبة الطافية على وجه الماء، شبهه عنه ١٨ - والله أعلم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٣٠/٣)، لسان العرب (١٢٨/٩) مادة (طفا).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: "وأذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها" ص (٦٦٣) ح (٣٤٣٩)، وفي كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى "ولتضع على عيني" ص (١٤١١) ح (١٤٠٧). وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، ص (٩٥) ح (١٦٩ و ١٧١)، وكتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد ص (١١٧٤)، ح (٢٩٣٣ و ٢٩٣٤).

(٤) انظر: العقيدة الواسطية بشرح ابن عثيمين (٣١٣/١) إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المختار ص (٢٠).

(٥) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (٢٥٥/١).

(٦) انشده نفسه (٢٥٦/١-٢٥٩).

(٧) (٩٧/١).

وأبو الحسن الأشعري ؛ حيث قال في الإبانة:

"قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا - عز وجل -، وسنة نبينا - عليه السلام -، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث... وأن له عينين بلا كيف كما قال: {تجري بأعيننا} [القمr: ١٤]"^(١)

وأبو القاسم هبة الله اللالكائي ؛ حيث بوب في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة^(٢) بقوله: "سياق ما دل من كتاب الله - عز وجل - سنة رسوله ﷺ على أن من صفات الله - عز وجل - الوجه والعينين واليدين".

وابن تيمية - يرحمه الله - حيث قال في مجموع الفتاوى^(٣): "باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين وذكر الآيات في ذلك"

والشيخ ابن عثيمين - يرحمه الله - ؛ حيث بين أن القول بأن لله عينين اثنتين هو المعروف عن أهل السنة والجماعة ، فقال في إزالة الستار عن الجواب المختار: "لله تعالى عينان ، فهذا هو المعروف عن أهل السنة والجماعة ، ولم يصرح أحد منهم بخلافه فيما أعلم"^(٤).

وهذا يبين لنا اتلاف النصوص السابقة واتفاقها وتلازمها ، وأنها - والله الحمد - غير متعارضة ، وأن قول أكثر أهل العلم أن لله - سبحانه - عينين اثنتين تليقان به - سبحانه - لا تشبهان أعين المخلوقين ، والله أعلم.

(١) ص (٢٢).

(٢) (٤٥٧/٣).

(٣) (٦٥/٣).

(٤) ص (١٧).

المبحث الثاني

ما جاء في صفة المعية^(١) لله تعالى

المطلب الأول: ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض وبيان الوجه الموهم للتعارض :

أولاً : ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض:

جاءت الآيات القرآنية في هذه المسألة دالة على أمرين هما:

الأمر الأول: عموم معية الله - سبحانه - لجميع خلقه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَأَوْا مُتَكَبِّرِينَ لَا تَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ رَاكِعُونَ وَمَا يَكُونُ لَهُمْ رُكُوعٌ إِلَّا هُمْ يُؤْتُونَ إِلَهُهُمْ إِنَّهُمْ عَلَىٰ آيَاتٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الحج: ١٧]

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]

وقال تعالى: ﴿يَسْتَحْفِظُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفِظُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَعْمَلُونَ

مُحِبِّطًا﴾ [النساء: ١٠٨]

وغيرها من الآيات الدالة على عموم معية الله سبحانه.

الأمر الثاني: أن معية الله خاصة بالمتقين المحسنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]

ثانياً : بيان الوجه الموهم للتعارض:

بالنظر السريعة على الآيات السابقة قد يبدو أن بينها تعارضاً وأنها متناقضة؛ حيث نجد أن الآيات الأولى ، تدل على عموم معية الله - سبحانه - لجميع خلقه ، وفي المقابل نجد أن الآية الأخرى تدل بظاهرها على أن معية الله خاصة بالمتقين المحسنين.

وعلى هذا فكيف نوفق بين هذه الآيات ، ونزيل ذلك التعارض المتوهم؟

المطلب الثاني: مذاهب العلماء في دفع هذا الإيهام:

لقد جمع العلماء بين الآيات السابقة ولم يختلفوا في طريقة الجمع بين هذه الآيات، فليسهم مسلك واحد في الجمع بينها وهو المتعين ، والله أعلم .

وهو أن معية الله تنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة.

فالعامة: هي الشاملة لجميع الخلق قاطبة لا يتخلف عنها أحد البتة.

ومتضمنة هذه المعية: العلم والإحاطة والسمع والبصر ونفوذ القدرة؛ لأنه تعالى أعظم وأكبر من كل شيء، محيطٌ بكل شيء، فجميع الخلق في يده أصغر من حبه خردل في يد أحدنا ، وله المثل الأعلى سبحانه.

(١) النية في اللغة هي: المصاحبة والمقارنة والمجامعة، ولا يلزم منها المحاطة والماسسة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٧٤/٥)، مادة (مع)، المفردات في غريب القرآن للراغب الاصبهاني ص (٤٧٢) كتاب الميم.

ومثالها من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِمُهُمْ وَلَا حُمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [الحجرات: ٧] أي: معهم بعلمه.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] أي: معهم بعلمه سبحانه.

ومن السنة: قوله ﷺ: "ارغبوا على أنفسكم ؛ إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم" (١).

وهذه المعية لا توجب حلولاً ولا اختلاطاً ، ولا تنافي علو الله تعالى ؛ لأن معناها - بإجماع أهل العلم - : العلم والإحاطة.

وقد حكى هذا الإجماع غير واحد من أهل العلم أذكر منهم ما يلي:

١ - الإمام عثمان بن سعيد الدارمي ؛ حيث قال راداً على الخولوية:

"هذه الآية لنا عليكم ؛ لا لكم ، إنما يعني: أنه حاضر كل نبوي مع كل أحد من فوق العرش بعلمه ؛ لأن علمه هم محيط ، وبصره بهم نافذ ، لا يحجب شيء عن علمه وبصره... إلى أن قال: وكذلك فسرته العلماء" (٢).

٢ - ابن أبي شيبة ؛ فإنه قال: "ففسرت العلماء قوله : { وهو معكم } يعني: علمه" (٣).

٣ - الآجري فإنه فسر المعية في الآيات السابقة بالعلم ثم قال بعد ذلك: "وهذا قول المسلمين" (٤).

٤ - ابن بطة فإنه قال: "وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله - تبارك وتعالى - على عرشه فوق سماواته ، بائن من خلقه ، وعلمه محيط بجميع خلقه" (٥).

كما أن تفسير هذه المعية بالعلم مأثور عن عدد كبير من السلف كابن عباس - رضي الله عنهما - ، حيث قال: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] ، وهو على العرش ، وعلمه معهم .

وقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِمُهُمْ وَلَا حُمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [الحجرات: ٧] قال : "هو على العرش ، وعلمه في كل مكان" (٦).

والضحاك ومقاتل بن حيان وسفيان الثوري (٧) عليهم رحمة الله.

أما المعية الخاصة: فهي ليست شاملة لجميع الخلق ؛ بل هي خاصة بأنبيائه وأوليائه - سبحانه.

ومقتضى هذه المعية : النصر والتأييد والإعانة والتسديد ، وهي تنقسم إلى قسمين : مقيدة بوصف ، ومقيدة بشخص.

فأما الخاصة المقيدة بوصف فمثل قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَلَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] فكل من كان من المؤمنين المحسنين فالله معه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة حيمص (٧٩٨) ، ح (٤٢٠٥) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب استنحاب

خفض الصوت بالذكر (١٠٨٣) ح (٢٧٤).

(٢) الرد على الجهمية مطبوع ضمن عقائد السلف ص (٢٦٨ ، ٢٦٩).

(٣) محمد بن عثمان بن أبي شيبة وكتابه العرش ص (١٨٨).

(٤) الشريعة (١٠٧٦/٣).

(٥) المختار من الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لعبدالله بن محمد بن بطة العكبري ص (١٣٦).

(٦) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (٣٠٦/١).

(٧) انظر : الشريعة للأجري (١٧٧-١٧٩) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٤٤-٤٤٥) ، الأسماء والصفات لأبي بكر أحمد

بن الحسن بن علي البيهقي (١٧٤/٢).

وأما الخاصة المقيّدة بشخص معين فمثل قوله تعالى عن نبيه: ﴿إِذَا يَقُولُ يُصَلِّحُهُ. لَا تَحْزَنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ﴾ [التوبة: ٤٠] فهذه المعية خاصة مقيّدة بالنبي ﷺ وبأبي بكر - رضي الله عنه - ، وهذه أخص من المقيّدة بوصف.

فأخص أنواع المعية ما قيّد بشخص ، ثم ما قيّد بوصف ، ثم ما كان عاماً.

مما سبق يتضح لنا أنه لا تعارض بين الآيات السابقة ، فالآيات الأولى من آيات المعية العامة التي مقتضاها العلم والإحاطة ، وأما الآية الأخرى فإنها من آيات المعية الخاصة التي مقتضاها النصر والتأييد مع المعية بالعلم.

قال بهذا الجمع بين الآيات السابقة الإمام أحمد بن حنبل^(١) وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) وتلميذه ابن القيم^(٣) ، والذهبي^(٤) وابن كثير^(٥) والشنقيطي^(٦) والقاسمي^(٧) وابن عثيمين^(٨) رحمهم الله.

(١) انظر : الرد على الزنادقة والجهمية مطبوع ضمن عقائد السلف ص (٩٥).

(٢) انظر : شرح حديث الزول ص (٣٦٠) ، مجموع الفتاوى (٢٩٦/٣).

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ص (٣٩٤).

(٤) انظر : العلل للعلل الغفار وإيضاح صحيح الأخبار من سقيها (٢٣٦/١-٢٧٧).

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم (٥٤٥/٢).

(٦) انظر : دفع إيهام الإضطراب ص (٣٢١).

(٧) انظر : محاسن التأويل (٢٥/١٦-٢٧).

(٨) انظر : العقيدة الواسطية بشرح ابن عثيمين (٤٠١/١-٤٠٢) ، مجموع فتاوى ابن عثيمين (٤٧/٤-٤٨).

المبحث الثالث

ما جاء في رؤية المؤمنين ربه يوم القيامة

المطلب الأول: ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض وبيان الوجه الموهم للتعارض :

أولاً : ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض :

لقد جاءت الآيات القرآنية في هذه المسألة بمثل حانين :

الجانب الأول: الآيات القرآنية التي تفيد إثبات رؤية المؤمنين ربه في الآخرة.

الجانب الثاني: الآيات القرآنية التي قد يفهم منها نفي رؤية الله سبحانه وتعالى.

فأما آيات الجانب الأول فهي كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]

هذه الآية من أقوى الأدلة وأصرحها على أن المؤمنين يرون ربه يوم القيامة بأعينهم ، فقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ أي : تنظر إلى ربها بأبصارها ؛ وذلك لأن إضافة النظر ^(١) إلى الوجه الذي هو عمله ، وتعيينه بأداة "إلى" الصريحة في نظر العين ، وإحالة الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف على الوجه المعدي — "إلى" خلاف حقيقته وموضوعه ، صريح في أن الله تعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس السرب — تبارك وتعالى ^(٢). " وهذا التفسير للآية هو قول كل مفسر من أهل السنة والحديث " ^(٣).

- وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ ذُرِّيَّتُكَ وَأَنزَلَ لَكَ الْخُبْرَ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦] فالخسني: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله - سبحانه وتعالى - كما ثبت تفسيرها بذلك عن رسول الله ﷺ في صحيح مسلم ^(٤). وروي هذا التفسير عن كثير من أصحاب رسول الله ﷺ موقوفاً ^(٥)، وكذلك روي عن التابعين ومن بعدهم روايات في تفسير الزيادة ، معظمها أنها النظر إلى الرب - تقدست أسماؤه ^(٦). وفي عطفه سبحانه الزيادة على الحسن - التي هي الجنة - دليل على أنها أمر آخر وراء الجنة، وقدر زائد عليها ، ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى ^(٧).

(١) النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعيينه، فإن عدي به معناه، توقف والانتظار ، كقوله تعالى: ﴿أَنظُرُونَا نَقْضِيَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [الحديد: ١٣]

وإن عدى ب "في" فمعناه، التفكير والاعتبار ، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَن عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ نَازِقٌ يُؤْخِرُ ۖ يَوْمَئِذٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وإن عدي بـ "إلى" فمعناه المعاينة بالأبصار؛ كقوله تعالى: ﴿أَنظُرُوا إِلَىٰ شَرِيهِ إِذَا أَتَمَّرُوا وَيَوْمَئِذٍ﴾ [في ذلكم لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] [الأنعام: ٩٩] انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص (٤١٤-٤١٥) شرح العقيدة الطحاوية (١/٥٨٠).

(٢) انظر: كتاب التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة لأبي بكر محمد الأحصري ص (٩)، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص (٤١٤).

(٣) حادي الأرواح ص (٤١٥).

(٤) فلقد روي مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربه سبحانه وتعالى ص (١١٣) ح (١٨١) عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله - تبارك وتعالى - : تزيدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتحمنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربه عز وجل ثم تلا هذه الآية {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ ذُرِّيَّتُكَ وَأَنزَلَ لَكَ الْخُبْرَ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

(٥) روي عن أبي بكر الصديق وأبي موسى الأشعري ، وهو قول علي بن أبي طالب في رواية وحذيفة وعبد بن الصامت وصهيب وابن عباس في رواية - رضي الله عنهم - . انظر: جامع البيان (١١/١٣٧-١٤١)، كتاب التوحيد (٢/٤٥١-٤٥٣، ٤٥٩-٤٦١)، حادي الأرواح ص (٤٠٨-٤٠٩).

(٦) انظر هذه الروايات في: حادي الأرواح ص (٣٦٤)، وعظيمة المنة في رؤية المؤمنين ربه في الجنة لعبد الرحمن الأهدل ص (٢٠-٢٣).

(٧) انظر : حادي الأرواح ص (٤٠٩).

آيات العقيدة التي قد يوهم ظاهرها التعارض في صفات الله تعالى

- وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَهُ الْكَرَمُ﴾: ٣٥ فقوله "مزيد" فسر بما فسرت به الآية السابقة ؛ فقال ابن كثير - يرحمه الله - : " (ولدت مزيداً) كقوله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَجْرٌ مُّزِيدٌ﴾ بونس: ٢٦ وفند سبق أن معنى الزيادة : النظر إلى وجه الله الكريم ^(١) .
- وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرُونَ﴾ المطففين: ١٥
وهذه الآية الاستدلال بما استدلال بههم ، حيث إنه - سبحانه - جعل من أعظم عقوبة الكفار أنهم محجوبون عن رؤيته وسماع كلامه ، فلم يره المومنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه.
- ولقد احتج بهذه الحجة الإمام الشافعي ؛ حيث قال في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرُونَ﴾ المطففين: ١٥: "لما حجبهم في السخط كان هذا دليلاً على أنهم يرونه في الرضا ^(٢) .
- وكذلك احتج بما غيره من الأئمة: كالإمام مالك ^(٣) والحسن البصري ^(٤) .
- وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْكَانِ يُنْظَرُونَ﴾ المطففين: ٢٣ ، فقوله تعالى { ينظرون } عامة ، أي: ينظرون إلى الله - سبحانه - ، وينظرون ما لهم من النعم ، وينظرون ما ينصل لأهل النار من العذاب ^(٥) .
- أما آيات الجانب الثاني: وهي التي قد يُفهم منها نفي رؤية الله سبحانه فهي: قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الأعمام: ١٠٣ ،
- وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِثْقَاكَ ثُمَّ قَالَ رَبِّ أَبْنِ لِي مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَأَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُكَ﴾ الأعراف: ١٤٣
رَبَّنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْعَبْدِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوْغًا فَلَمَّا مَلَأَ مَلَكُكَ سُبْحَانَكَ بَنَتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ
- ثانياً: بيان الوجه الموهم للتعارض: بالنظر إلى الآيات السابقة نجد أن آيات الجانب الأول قد أثبتت رؤية المؤمنين ربه - سبحانه وتعالى - في الآخرة.
- وفي المقابل نجد أن آيات الجانب الثاني قد نفهم منها نفي رؤية الله - عز وجل - ؛ كما فهم ذلك منها نفاة الرؤية وهم : الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج ^(٦) والإمامية ^(٧) ، فقد استدلال هؤلاء بهاتين الآيتين على نفي رؤية الله - عز وجل - في الدنيا والآخرة.

- (١) تفسير القرآن العظيم (٢٠٤/٤).
- (٢) أخرجه البيهقي في الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ص(٦٣) ، وذكر الطبري وغيره عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرُونَ } فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربه يوم القيامة .
- (٣) أخرج اللالكائي في السنة (٤٦٧/٣) أن رجلاً قال لملك : يا أبا عبد الله. هل يرى المؤمنون ربه يوم القيامة؟ قال: لو لم يرى المؤمنون ربه يوم القيامة لم يعب الله الكفار بالحجاب فقال: { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرُونَ }
- (٤) أخرج اللالكائي في السنة (٤٦٨/٣) أن الحسن البصري قال: "إذا كان يوم القيامة برز ربنا تبارك وتعالى فيراه الخلق، ويحجب الكفار فلا يرونه، وهو قوله تعالى: { كلا لهم ... } .
- (٥) انظر: العقيدة الواسطية بشرح ابن عثيمين (٤٤١/١).
- (٦) الخوارج: سمو بذلك لمرحومهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويسمون أيضاً بالهكسة ، والحرورية ، والشرافة ، والمارقة ، والنواصب. أما تسميتهم بالهكسة فلأنهم أنكروا الحكمين وقالوا: لا حكم إلا لله ، وأما تسميتهم بالحرورية فلأنهم نزلوا بحروراء في أول أمرهم وهي قرية بظاهر الكوفة ، وأما تسميتهم بالشرافة فلأنهم غضبوا ولجؤا من باب: شرى الشر: إذا استطار وزاد وتغافهم. أما هم فيقولون: نحن الشرافة لقول الله - عز وجل : { وَمِنْكُمْ أَشْقَاتٌ مِّنْ بَشَرٍ مِّنْ نَّفْسِهِ أَتَيْتَهُنَّ ذَهَابًا فَأَتَتْهُنَّ أَهْلَهُنَّ وَأَتَتْهُنَّ أَهْلَهُنَّ } أي بناء بالهنة حين فارقتا الأئمة الجائزة ، وأما تسميتهم بالمارقة فأخذوا من قوله ﷺ "يخرفون من الدين كما يخرق السهم من الرمية" ، أما تسميتهم بالنواصب؛ فلأنهم ناصبوا علياً العدا، فالنواصب : جمع ناصب وهو الغالي في بغض علي رضي الله عنه.
- (٧) وقد اختلفت الخوارج إلى أكثر من عشرين فرقة، وبما جمعهم تكفيرهم علياً وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما، وكذلك وجوب الخروج على السلطان الجائر ولهذا سموا خوارج. وأكثرهم على التكفير بارتكاب الذنوب ، انظر: مقالات الإسلاميين (١٦٧/١-٢٠٧) الصحاح للحروري (٢٢٩٦/٦) مادة (شرى)، الفرق بين الفرق ص (٧٢ وما بعدها) ، وأصول الدين ص (٢٢٢).
- (٨) الإمامية: هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي ﷺ نمشاً ظاهراً ، وتعييناً صادراً ، وبأن الإمامة من أصول الدين لا يجوز للمرسل إخفائها ولا الذهول عنها ، ثم وقعوا في كبار الصحابة تكفيراً وتقسيفاً وظلماً وعدولاً ، وساقوا الإمامة إلى حقر في محمد الصادق ، -

فاما الآية الأولى - وهي قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فوجه الدلالة منها كما قال القاضي عبد الجبار بعد أن أورد هذه الآية: "ما قد ثبت من أن الإدراك إذا اقترن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمسحاً راجعاً إلى ذاته، وما كان من نفيه تمسح راجع إلى ذاته كان إنشائه نقصاً، والنفاص غير حائز على الله - تعالى - في حال من الأحوال" (١).

يتضح لنا من كلام القاضي عبد الجبار المتقدم أن هؤلاء النفاة قد بنوا استدلالهم بهذه الآية على وجهين:

الأول: على أن الإدراك المقرون بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية وقد نفى، والنفي عام لجميع الأبصار في جميع الأوقات والأزمان.

الثاني: أن الله تمسح بكونه لا يرى - على فهمهم - وما كان عدمه مدحاً كان وجوده نقصاً يجب تزويه الله عنه.

وأما الآية الثانية - وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أِنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَىٰ وَلَكِنْ نُنْظَرُ إِلَيْكَ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا سَمِعَ رَجُلٌ مِّنْ آلِ هَارُونَ أَنَّهُ مُنَادِيكَ فَخَرَّ يَدَاسٍ صَبِيحًا فَلَمَّا آفَقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فقد استدلا بها على عدم رؤية الله - سبحانه - من وجوه:

الوجه الأول: قال تعالى ﴿لَنْ نَرَىٰكَ﴾، و"لن" موضوعه للتأييد، وإذا لم يره موسى أبداً لم يره غيره إجماعاً.

قال الزمخشري في معنى "لن": "فإن "لن" لتأكيد النفي الذي تعطيه "لا" قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] نفى للرؤية في المستقبل و ﴿لَنْ نَرَىٰكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] تأكيد وبيان" (٢).

الوجه الثاني: قوله: ﴿وَلَكِنْ أَنْظَرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ووجه الدلالة كما قال القاضي عبد الجبار: "أنه سبحانه علق الرؤية باستقرار الجبل، فلا يخلو إما أن يكون علقها باستقراره بعد تحركه وتذكده أو علقها به حال تحركه، لا يجوز أن تكون الرؤية علقها باستقرار الجبل؛ لأن الجبل قد استقر ولم يره موسى ربه، فيجب أن يكون قد علق ذلك باستقرار الجبل بحال تحركه دالاً بذلك على أن الرؤية مستحيلة عليه كاستحالة استقرار الجبل حال تحركه ويكون هذا بمنزلة قوله تعالى: ﴿إِنِ الْوَيْلُ كَانَ كَذِبًا وَيَأْتِينَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]" (٣).

الوجه الثالث: قوله تعالى: ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَبِيحًا﴾، ولو كانت الرؤية جائزة فلم حر موسى عند سواها؟.

قال الزمخشري: "حر موسى من هول ما رأى ... ومعناه: حر مغشياً عليه غشية الموت" (٤).

الوجه الرابع: قوله تعالى حكاية عن موسى - عليه السلام - : ﴿فَلَمَّا آفَقَ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾. أي: أنزهك عما لا يجوز عليك.

- ثم اختلفوا بعد ذلك، وقد أطلق عليهم الإمامية لأهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم، انظر: التصير في السدين ص (٣٥)؛ الملل والنحل (١٨٩/١) وما بعدها، اعتقادات فرق المسلمين والشركين ص (٧٠)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٥٥/١).

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بس أحمد ص (٢٣٣)، وانظر: المعنى في أسواق العدل والتوحيد، (١٦٢/٤) ومتشابه القرآن (٢٥٥/١).

(٢) الكشف (١١٣/٢-١١٤) وانظر: منشاها القرآن (٢٩١/١).

(٣) شرح الأصول الخمسة (٢٦٥/١)، وانظر: منشاها القرآن (٢٩٦/١).

(٤) الكشف (١١٥/٢).

قال الرازي عند حكايةه للأوجه التي استدلت بها المعتزلة على نفي الربية من الآفة: "قوله: "سبحانك" الكلمة للتزييه، موجب أن يكون المراد منه تزييه الله تعالى عما تقدم ذكره، والذي تقدم ذكره هو رؤية الله تعالى، فكان قوله "سبحانك" تزييه له - سبحانه - عن الرؤية، فثبت بهذا أن نفي الرؤية تزييه لله تعالى، وتزييه الله إنما يكون عن النقائص والأفات، فثبت أن الرؤية على الله متممة" (١).

الوجه الخامس: قوله تعالى حكاية عن موسى لما أفاء أنه قال ﴿بُتُّ إِلَيْكَ﴾ ولسولا أن طلب الرؤية ذنب لما تاب منه، ولولا أنه ذنب ينال صحة الإسلام لما قال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال القرطبي: "﴿بُتُّ إِلَيْكَ﴾ من طلب الرؤية، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنك لست بمؤمن، ولا تدرك بشيء من الحواس، قال: فإن قلت: فإن كان طلب الرؤية لقومه على ما قلت فممن تاب؟ قلت: ممن إجرأته تلك المقالة العظيمة - وإن كان لغرض صحيح - على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى" (٢). وعليه فكيف يمكننا التأليف والتوفيق بين الآيات السابقة والرد على هؤلاء النفاة؟ هذا ما سنبينه - فيما يلي - إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: مسالك العلماء في دفع هذا الإيهام:

قبل الخوض في مسالك العلماء تجاه نصوص الرؤية لابد من بيان أن سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان من الأئمة المهتدين بهدي سيد المرسلين متفقون (٣) على الإيمان بأن الله تعالى يراه المؤمنون في عرصات القيامة وفي الجنة رؤية تتمم وإكرام، فهي أعلى مراتب النعيم في الآخرة، معتمدين في ذلك على النص الصريح من كلام الله - عز وجل - وكلام نبيه ﷺ.

فأما النصوص القرآنية قد تقدم ذكرها بما يغني عن إعادتها، وأما الأحاديث الدالة على أن المؤمنين يرون وهم يوم القيامة فهي كثيرة منها:

- حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: "إنكم سنرون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون" (٤) في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا" (٥).

والتشبيه في الحديث للرؤية، وهو فعل الرائي؛ لا للمرئي، ومعناه: ترون ربكم رؤية لا شك فيها كما ترون القمر ليلة البدر لا مرة فيه (٦).

(١) التفسير الكبير (٢٣٣/١٤).

(٢) الكشف (١١٥/٢).

(٣) ولقد خالف أهل السنة والجماعة في رؤية الله - سبحانه - فریقان:

أحدهما: من يزعم أن الله - سبحانه - يُرى في الدنيا والآخرة، وهم الصوفية وأحرابهم.

والثاني: من يزعم أنه - سبحانه - لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، وهم الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية - وهم نفاة الرؤية الذين سبق الحديث عنهم - . انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٣١٥/٢)، ومجموع الرسائل والمسائل (١١٣/١٢)، وحادي الأرواح (٤٧٧).

(٤) تضامون: - يفتح التاء وتشديد الميم - أي: تضامون حذفته منه إحدى التاءين. قال البيهقي: "قال أبو سليمان الخطابي: هو من الانضمام، يريد أنكم لا تختلفون في رؤيته حتى يجتمعوا للفرق، وفي رواية: "تضامون" قال: "وهذا الأول سواء في فتح التاء، ووزنه: تفاعلون، من الضار. والضرار: أن يضار الرجلان عند الاختلاف في الشيء، وروى بعضهم: "تضامون" - بضم التاء وتخفيف الضاء - من الضمر، والمعنى واحد، أي: لا يخالف بعضكم بعضاً، يقال: ضارة بضير، وروى بعضهم "تضامون" - بضم التاء وتخفيف الميم، معناه: لا يلحقكم ضم ولا مشقة في رؤيته، ويروى "لا تضامون" أي: لا تضامون، من المرة وهي: الشك. انظر: شرح السنة للحسين بن سعد بن محمد الفراء البيهقي (٢٢٥-٢٢٦) وانظر أيضاً: الاعتقاد للبيهقي (٦١) والنهاية في غريب الحديث (١٠١/٣).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر من (١٢٤) ح (٥٥٤)، وكتاب التوحيد ح (٧٤٣٤) و (٧٤٣٥) و (٧٤٣٦). ورواه مسلم في كتاب المساجد، ح (٦٣٣).

(٦) انظر: شرح السنة (٢٢٥-٢٢٦)، الاعتقاد للبيهقي من (٦١).

- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: "هل تضارون في القمر ليلة الدرة؟" قالوا: لا يا رسول الله، فقال: "هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟" قالوا: لا يا رسول الله، قال: "فإنكم ترونه كذلك" (١).

- وحدث أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن" (٢).

وغیرها من أحاديث الرؤية التي قد تواترت (٣) عن رسول الله ﷺ، وهي مروية عن ثمانية وعشرين صحابياً كلها تستر رؤية المؤمنين لربهم - عز وجل - في جنات النعيم.

وفد حكي إجماع السلف ومن تبعهم على إثبات رؤية المؤمنين لربهم بأبصارهم في الآخرة عدد كبير من أهل العلم كالدارمي (٤) وابن خزيمة (٥) وأبي الحسن الأشعري (٦) والبيهقي (٧) والنووي (٨) وشيخ الإسلام ابن تيمية (٩) وغيرهم.

أما بالنسبة لرؤية الله - سبحانه - في الدنيا فقد أجمع أئمة المسلمين على أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا إلا في رؤية النبي ﷺ لربه تعالى، مع أن جماهير الأئمة على أنه لم يره أحد بعينه في الدنيا بما في ذلك النبي ﷺ (١٠).

وقد نقل هذا الإجماع عدد من أهل العلم، كالدارمي (١١) وشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢) وابن أبي العز (١٣) وغيرهم.

ومن مستند هذا الإجماع: قوله ﷺ: "وهو يحذر أمته من الدجال: تعلمون أنه لن يبرى أحد منكم ربه - عز وجل - حتى يموت" (١٤).

أما بالنسبة لمسالك العلماء في دفع التعارض المتوهم بين الآيات المذكورة سابقاً فإنهم لم يتجاوزوا مذهب الجمع، ويمكن تقسيم مسالكهم في الجمع بين هذه الآيات إلى قسمين هما:

القسم الأول: مسالك العلماء في الجمع بين الآيات الدالة على إثبات الرؤية وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

- (١) أخرجه البخاري بأطول مما هنا في كتاب التوحيد، ج (٧٤٣٧)، وأخرجه مسلم بأطول مما هنا في كتاب الزهد والرفائق، ج (٢٦٩٨)، وفي كتاب الإيمان، ج (١٨٢).
- (٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، ج (٤٨٧٨)، وفي كتاب التوحيد، ج (٤٤٤)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، ج (١٨٠).
- (٣) نص على التواتر ونقله عن واحد من العلماء منهم: الأشعري في الإبانة ص (٦٤)، والأحرسي في الشريعة (٤٨/٧)، واللاكناني في شرح أصول السنة (٤٧٠/٣) والأصبهاني في الحجة (٢٦١/٢، ٢٦٢)، وابن القيم في حادي الأرواح ص (٣٣٧-٣٨٠).
- (٤) انظر: الرد على الجهمية مطبوع ضمن عقائد السلف ص (٣٠٥).
- (٥) انظر: التوحيد (٥٤٨/٢، ٥٨٢، ٥٨٧).
- (٦) انظر: الإبانة عن أصول الديانة ص (٦٥).
- (٧) انظر: الاعتقاد ص (٦٢).
- (٨) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٢٠/٣).
- (٩) انظر: مجموع الفتاوى (٦٤٨/٣).
- (١٠) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (١١٢/١)، وهذا هو الراجح فإن النبي ﷺ لم يبر ربه بعينه، وإنما رآه بفؤاده، ولم يثبت عن أحد من الصحابة القبول بالزوية البصرية بل قد نقل الدارمي إجماع الصحابة على أنه ﷺ لم يبر ربه ليلة المعراج. انظر: مجموع الفتاوى (٥٠٧/٦)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٢٦). وأما الذين قالوا: إنه رآه بعينه فليس فهم مستند على ذلك إلا ما فهموه من الروايات المطلقة في الرؤية عن بعض الصحابة: كإبي عيسى - رضي الله عنهما - وغيره.
- (١١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك؛ بل الصواب الصحيح المحيطة على نفيه أدل كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت النبي ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: "نور" أي أراد" أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، بسط في قوله عليه السلام: "نور أن أراه" ص (٩٨) ج (١٧٨)، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثلاثة ذكر ذلك، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه. انظر: مجموع الفتاوى (٦٤٨، ٦٤٧/٣).
- (١٢) انظر: الرد على الجهمية مطبوع ضمن عقائد السلف ص (٣٠٦).
- (١٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦٤٨/٣)، منهاج السنة (٣٤٩/٣، ٦٣٥)، مجموع الرسائل والمسائل (١١٢/١).
- (١٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٩٧/١).
- (١٥) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد ص (١١٧٤) ج (١٦٩).

آيات العقيدة التي قد يوهم ظاهرها التعارض في صفات الله تعالى

المسلك الأول: أن الإدراك ليس هو الرؤية المطلقة؛ وإنما هو الرؤية على وجه الإحاطة بمحائب المراتبي، فهو قدر زائد على الرؤية.

وعلى هذا معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾: لا تحيط به الأبصار. فالآية نفت الإدراك المشعر بالإحاطة والكنه، أما مطلق الرؤية فلا تدل الآية على نفيه.

ولقد فسر ابن عباس الآية بذلك، حيث روي عنه أنه قال: في قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾: "لا يحيط بصر أحد بالملك"^(١). وروي عن قتادة وعطية العوفي مثله^(٢)، ونسبه البغوي إلى سعيد بن المسيب وعطاء ومقاتل^(٣).

وعلى هذا فانتفاء الإدراك في الآية لا يلزم منه انتفاء مطلق الرؤية؛ لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم؛ فإن الشيء قد يرى ولا يدرك؛ كما يقول الرجل: رأيت السماء، وهو صادق؛ مع أنه لم يحيط بصره بكل السماء ولم يدركها، ويقول: رأيت البحر، ولم يدرك بصره كل البحر، ويقول: رأيت الشمس، وهو عاجز عن الإحاطة بها على ما هي عليه، والعرب تقول: رأيت الشيء وما أدركه، فصح أن يقال: إنا نرى الله تعالى يوم القيامة، ولا تدركه أبصارنا؛ لأنه تعالى أكبر وأعظم من أن يحاط به؛ إذ هو الظاهر والباطن، وهو بكل شيء محيط.

ونظير جواز وصفه بأنه يرى ولا يدرك جواز وصفه بأنه يعلم ولا يحاط بعلمه كما قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا ما شاء نفي عن أن يعلموه، فهو تعالى يعلم ولا يحاط به علماً، ويُرى ولا يحاط به؛ لكمال عظمتة - عز وجل - . وعلى هذا تكون الآية دالة على أنه - سبحانه - يرى ولا يدرك، ف يرى من غير إحاطة ولا حصر تعالى وتقدس!

ذهب إلى هذا المسلك جمع كبير من أهل العلم، كالآجري^(٤)، وابن حزم^(٥)، والبغوي^(٦)، والقرطبي^(٧)، والسووي^(٨)، والنسفي^(٩)، وابن تيمية^(١٠)، وابن القيم^(١١)، وابن أبي العز^(١٢)، وغيرهم عليهم رحمة الله.

كما أن هذا المسلك هو قول أهل اللغة أيضاً، قال الزجاج في معنى الآية: "أي: لا يُبلغ كنه حقيقته؛ كما تقول: أدركت كذا وكذا"^(١٣).

ولقد استدلت القائلون بهذا المسلك بما يلي:

١ - حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمسة كلمات فقال: "إن الله عز وجل لا ينم، ولا ينبغي له أن ينام. يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٠/٧) رقم (١٠٦٦٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٩٠/٧).

(٣) انظر: معالم التنزيل (١٧٤/٣).

(٤) انظر: الشريعة (١٠٤٨/٢).

(٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري (٣٥/٢).

(٦) انظر: معالم التنزيل (١٧٤/٧).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٠/٧).

(٨) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٩/٣).

(٩) انظر: تفسير النسفي (٢٧/٢).

(١٠) انظر: منهاج السنة (٣١٧/٢-٣٢٠).

(١١) انظر: حادي الأرواح ص (٤١٢-٤١٣).

(١٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٩١/١).

(١٣) معاني القرآن للنحاس (٤٦٧/٢)، وانظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٧٨/١٢)، لسان العرب (٦٤/٤) كلاهما مادة (بصر).

عمل الليل، حجاب البور (وفي رواية أبي بكر: النار) ولو كنفه لأحرفت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه^(١). قالوا: فالحدث صريح في عدم الرؤية في الدنيا، وبهذه مع عدم إمكان الإحاطة مطلقاً^(٢).

٢ - تفسير ابن عباس - رضي الله عنهما - للآية، والذي تقدم ذكره.

٣ - روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] أن النبي ﷺ رأى ربه - عز وجل^(٣) - ، قال رجل عند ذلك: أليس قال الله - عز وجل - : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فقال له عكرمة أليس ترى السماء؟ قال: بلى، قال: أو كلها تراها؟!^(٤).

واستدلوا على أن الإدراك معني زائد على النظر والرؤية وعلى أن نفيه لا يلزم منه نفي الرؤية بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاهُ الثَّغَمَانِ قَالَا أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالُوا إِنَّمَا مَعِيَ رَبِّي سَتَهِيَ﴾ [الشع: ٦١ - ٦٢].

قالوا: لقد فرق الله - سبحانه - بين الإدراك والرؤية فرقاً جلياً؛ لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله ﴿فَلَمَّا تَرَاهُ الثَّغَمَانِ﴾، وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضاً، فصحت منهم الرؤية لسبب إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى - عليه السلام - لهم ﴿كَلَّا إِنَّمَا مَعِيَ رَبِّي سَتَهِيَ﴾، فأخبر تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بنى إسرائيل ولم يدركوهم، ولا شك في أن ما نفاه الله غير الذي أثبتته، فالإدراك غير الرؤية، والحجة لقولنا هو قوله الله تعالى^(٥).

المسلك الثاني: أن الآية على الخصوص، فمعنى قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]: لا تراه الأبصار في الدنيا، فالإدراك عند هؤلاء في هذا الآية بمعنى الرؤية.

ولقد اعتل أهل هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا: "الإدراك وإن كان قد يكون في بعض الأحوال بغير معنى الرؤية فإن الرؤية من أحد معانيه؛ وذلك أنه غير جائز أن يلحق بصره شيئاً ففراه وهو لما أبصره وعابنه غير مُدْرِك وإن لم يحط بأجزائه كلها رؤية.

قالوا: رؤية ما عابنه الراي إدراك دون ما لم يراه.

قالوا: وقد أخبر الله أن وجوهاً يوم القيامة ناظرة.

قالوا: فمحال أن تكون إليه ناظرة وهي له غير مدركة رؤية.

قالوا: وإذا كان ذلك كذلك وكان غير جائز أن يكون في أخبار الله تضاد وتعارض، وجب وصح أن قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ على الخصوص؛ لا على العموم، وأن معناه: لا تدركه الأبصار في الدنيا، وهو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة، إذ كان الله قد استثنى ما استثنى منه بقوله ﴿وَجُوهٌ يَّوْضَعُ فَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]^(٦).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ح (١٧٩).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب ص (٢٨٠).

(٣) هذه الرؤية بالحواس كما هو الراجح من أقوال العلماء.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٩/٢٧) ورقم (٢٥١٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦٢/٤) رقم (٧٧٣٧)، وذكره السيوطي في الدرر

(٥) (٣٠٢/٣)، وعراه لابن مردويه.

(٦) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣٥/٢).

(٦) جامع البيان (٣٩٣/٧).

قال بهذا المسلك مقاتل بن سليمان^(١) والإمام أحمد بن حنبل^(٢) والبيهقي^(٣) والسهماني^(٤) والزركنشي^(٥) والقاسمي^(٦)، كما احتمله أبو الحسن الأشعري^(٧).

ولقد استدل أصحاب هذا المسلك بما يلي:

١ - الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تثبت أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة وقالوا: في هذه الآيات، والأحاديث تعدد الرؤية بيوم القيامة، ولو كانت جائزة في الدنيا لما كان لهذا التحديد معنى^(٨).

٢ - قوله ﷺ: "لن تروا ربكم حتى تموتوا"^(٩). قالوا: ما نفى الشارع إلا رؤية الله في الدنيا بقطة.

٣ - حديث أبي موسى الأشعري: أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بمخاضين كلمات فقال: "إن الله - عز وجل - لا ينام ولا ينفى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه إليه علم الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابة للور (وفي رواية أبي بكر: النار) لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"^(١٠).

المسلك الثالث: أن الآية من العام المخصوص، فمعنى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي لا تدركه جميع الأبصار، فهذا عام مخصوص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة. فأبصار الكافرين المشركين لا تدركه - سبحانه - فهم محجوبون عن رؤيته تعالى، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [الطافين: ١٥]

وعلى هذا فلا تنافي بين هذه الآية والآيات المثبتة للرؤية في الآخرة، فهذه الآية تنفي رؤية الكافرين المكذبين لله تعالى في الدنيا والآخرة، وأما الآيات الأخرى فإنها تثبت رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة. احتمل هذا المسلك أبو الحسن الأشعري^(١١)، وذهب إليه البيهقي^(١٢).

المسلك الرابع: إن الآية على العموم، ولن يدرك الله بصر أحد في الدنيا والآخرة؛ ولكن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بها.

ذهب إلى هذا المسلك ضرار الكوفي؛ حيث نقل عنه أنه كان يقول: "إن الله تعالى لا يرى بالعين إنما يرى بحاسة سادسة يخلقها - سبحانه - له يوم القيامة"^(١٣).

(١) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص (٧٥).

(٢) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية، مطبوع ضمن عقائد السلف ص (٥٩).

(٣) انظر: الاعتقاد ص (٥٦).

(٤) انظر: تفسير أبي المظفر السهماني (١٣٣/٢).

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن (٦١/٢).

(٦) انظر: محاسن التأويل (٣٩٣/٣).

(٧) انظر: الإبانة عن أصول الديانة ص (٦٣).

(٨) انظر رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها ص (١٢٥).

(٩) تقدم تخريجه ص (١٩).

(١٠) تقدم تخريجه ص (٢٠).

(١١) انظر: الإبانة عن أصول الديانة ص (٦٣).

(١٢) انظر: الاعتقاد ص (٧٥-٧٦).

(١٣) روح المعاني للألويسي (٣٥٨/٧).

واحتج لقوله هذه الآية فقال: "إنما دلت على تخصيص نفي إدراك الله تعالى بالبصر، وتخصيص الحكم بالشيء، بدل على أن الحال في غيره بخلافه، فوجب أن يكون إدراك الله تعالى بغير البصر جائزاً في الجملة. ولما ثبت أن سائر الحواس الموجودة الآن لا يصبح لذلك ثبت أنه تعالى يخلق يوم القيامة حاسة سادسة بما تحصل رؤية الله تعالى وإدراكه"^(١).

المسلك الخامس: أن قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ المراد بها نفى الرؤية، وقد عدم إذن الله تعالى للأبصار بالإدراك، فالتحسين - سبحانه وتعالى - لا تدركه الأبصار إلا بإذنه؛ مع كونه يدرك الأبصار ولا تخفى عليه خافية. احتمال هذا المسلك الألوسي رحمه الله^(٢).

المسلك السادس: ما ذهب إليه أبو الحسن الأشعري وهو أن الآية تنفي أن تراه الأبصار، ولا تنفي أن يراه المصورون، فكون الآية دالة على أن الأبصار لا تراه لا يلزم أن المصورين لا يرونه، وهذا لا تعارض هذه الآية مع آيات إثبات الرؤية لله - عز وجل - في الآخرة^(٣).

المسلك السابع: أن معنى قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: وقت تجليته بنوره الذي يذهب بالأبصار. وهو النور الشعشعاني المشار إليه في الحديث الوارد في صحيح مسلم وغيره: "لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره"^(٤).

وإلى هذا التفسير يشير ما روي عن ابن عباس أنه قال: "رأى محمد ﷺ ربه، فقال له عكرمة: أليس الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، قال ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقال: أربه مرتين"^(٥).
وأما وقت تجليته في نوره الذي لا يذهب بالأبصار فإن الأبصار تدركه.

وإثبات هذين التورين جمع بين جوابيه ﷺ لأي ذر حيث سأله: هل رأيت ربك؟ فقال في أحد جوابيه: "نور أبي أراه"^(٦). وفي الجواب الآخر: "رأيت نوراً"^(٧).

فيقال: النور الذي نفى رؤيته في الاستفهام الإنكاري المدلول عليه "بأن" هو نوره - أعني النور الذي يذهب بالأبصار ولا يقوم له صبر - والنور الذي أثبت رؤيته هو النور الذي لا يذهب الأبصار.

وبهذا يزول التعارض بين هذه الآية والآيات المثبتة للرؤية في الآخرة. احتمال هذا المسلك الألوسي في تفسيره^(٨).

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر: المصدر نفسه (٣٥٧/٧).

(٣) انظر: الإبانة عن أصول الديانة ص (٧١).

(٤) تقدم ترجمته ص (٢٠).

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، ح (٣٢٩١)، وقال: "حديث حسن غريب من هذا الوجه". وأخرج بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦٣/٤)، رقم (٧٧٣٨)، وللإسكافي في شرح السنة (٥٧٦/٣) رقم (٩٢٠)، وذكره السيوطي في السدر (٣٠٢/٣) وعزاه إلى ابن السدر والطبراني والحاكم وابن مردويه، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص (٣٧٩) ح (٣٢٧٩).

(٦) تقدم ترجمته ص (١٦) هامش رقم (١).

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: "نور أبي أراه" ص (٩٨) ح (١٧٨).

(٨) انظر: روح المعاني (٣٥٧/٧).

القسم الثاني: مسائل العلماء في الجمع بين الآيات الدالة على إثبات رؤية الله - سبحانه وتعالى - في الآخرة وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ. قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنَنْزِلَنِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَلَغَ رُؤْيَا رَبِّهِ لِلْجَبَلِ جَمْعَهُ دُكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صُوقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

لقد سلك العلماء في الجمع بين هذه الآيات مسلكين هما:

المسلك الأول: ما ذهب إليه جمهور المفسرين والعلماء؛ كابن عباس^(١) - رضي الله عنهما - ومقاتيل بن سليمان^(٢) وابن قتيبة^(٣) وأبي سعيد الدارمي^(٤) والطبري^(٥) والبيهقي^(٦) وابن الجوزي^(٧) والقرطبي^(٨) وابن القيم^(٩) وغيرهم.

وفحوى هذا المسلك هو: أن هذه الآية الكريمة واردة في نفى الرؤية في الدنيا ولا تنفي نبوتها في الآخرة فموسى - عليه الصلاة والسلام - لم يطلب من الله الرؤية في الآخرة؛ وإنما طلب رؤية حاضرة؛ لقوله {أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ} [الأعراف: ١٤٣] - أي: الآن - ، فقال الله تعالى له: {لَنَنْزِلَنِي} أي: لن تراني في الدنيا أو في الحال.

ولقد وقعت جواباً من الله سبحانه لموسى عليه السلام حين سأله أن يريه ذاته، والسؤال إنما وقع في الدنيا، وهذا جوابه.

قالوا: ولا يجوز أن يكون المراد بقوله: {قَالَ لَنَنْزِلَنِي} من رؤيته في الدنيا والآخرة؛ وذلك لأنه لو أراد ذلك لقال: "لا تراني" أو "لست بمري" أو "لا يجوز رؤيتي" والفرق بين الجوابين ظاهر.

وذلك يدل على أنه - سبحانه - يرى؛ ولكن موسى لا تحتل قواد رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى، فإن "لن" هنا لتأكيد نفى ما قد وقع السؤال عنه، والسؤال إنما وقع عن تحصيل الرؤية في الحال، فكان قوله: {لَنَنْزِلَنِي} نفيًا لذلك المطلوب. وهذا يتضح أن هذه الآية لا تعارض مع الآيات المثبتة للرؤية في الآخرة.

واستدل هؤلاء على أن "لن" لا تفيد تأكيد النفي إلا بقرينة بما يلي:

- قوله تعالى حكاية عن مريم ﴿فَكُنِّي وَأَشْرَفِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ النَّبَرِ أَعْدَا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنَأْكُلَنَّهُ أَهْلَ يَوْمٍ إِنشِيًا﴾ [مريم: ٢٦]

(١) انظر: زاد المسير (١٩٦/٣).

(٢) انظر: التبيين والرد على أهل الأهواء والبدع ص (٧٥).

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث ص (١٤٠).

(٤) انظر: الرد على الجهمية، مطبوع ضمن عقائد السلف ص (٣٠٧).

(٥) انظر: جامع البيان (٧٤/٩).

(٦) انظر: معالم التنزيل (٢٧٦/٩).

(٧) انظر: زاد المسير (١٩٦/٣).

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠٠/٧).

(٩) انظر: حادي الأرواح ص (٤٠٤-٤٠٥).

قالوا: لو كانت "لن" تفيد تأييد النفي لوقع التعارض بينها وبين كلمة "اليوم" في الآية؛ لأن اليوم محدد معين، وهي

غير محددة ولا معينة^(١).

- وفوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ آذَانُ أَسْمَعُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَلَّا تَكُونُوا مِنْ دُونِ الْآيَةِ فَتَقْتُلُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ

يَسْتَمْتَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَبْدَانَكُمْ وَيَسْتَمْتَهُ اللَّهُ عِلْمُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٩٤ - ٩٥].

قالوا: لو كانت "لن" تفيد تأييد النفي لوقع التكرار في هذه الآية، فما فائدة كلمة "أبدًا" التي تدل على التأييد إن

كانت "لن" تدل عليه، ثم مع تقييدها بالتأييد هنا لم تدل عليه، قال تعالى: ﴿وَكَاذِبًا يَكْتُمُ لِقَائِكُمْ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

تَكُونُ﴾ [الزحرف: ٧٧] فكيف إذا أطلقت؟! (٢)

وقالوا: مما يؤيد عدم كونها للتأييد المطلق: تحديد الفعل بعدها، قال تعالى على لسان ابن يعقوب: ﴿فَلَنْ أَتَّبِعَ

الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِي آيٌ﴾ [يوسف: ٨٠] وقال ﷺ في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - في ذكر الدجال :

"تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه - عز وجل - حتى يموت"^(٣).

المسلك الثاني: ما ذهب إليه الألوسي وهو أن نفس الرؤية في قوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ مقيّد؛ لا مطلق، وأن معنى

فوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أي: لن تراني وأنت باقٍ على حالتك التي أنت عليها حين السؤال من غير أن يعقبها صق^(٤).

ولقد استدل على أن نفي الرؤية مقيّد لا مطلق بما روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "تلا

رسول الله ﷺ هذه الآية {رب أريني...}، إلخ، فقال: قال الله تعالى: يا موسى من إله لا يراني حي إلا مات، ولا يأس

إلا تدهده، ولا رطب إلا تفرق، وإنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم"^(٥).

قال: وهذا ظاهر في أن مطلوب موسى - عليه السلام - كان الرؤية في الدنيا مع بقائه على حالته التي هو عليها

حين السؤال من غير أن يعقبها صق؛ لأن قوله عز وجل - {إنه لن يراني حي...} إلخ لا ينفي إلا الرؤية في الدنيا مع

الحياة؛ لا الرؤية مطلقاً. فمعنى {لَنْ تَرَانِي} في الآية: لن تراني وأنت باقٍ على هذه الحالة؛ لا لن تراني في الدنيا مطلقاً؛

فضلاً عن أن يكون المعنى: لن تراني مطلقاً؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة^(٦).

(١) انظر عظمة المنة في رؤية المؤمنين ربه في الجنة ص (٢٨)، الحو الوافي مع ربطة بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتحددة لعباس حسن

(٢٨١/٤).

(٢) انظر الصدران المذكوران أعلاه، وانظر أيضاً: حادي الأرواح ص (٤٠٥)، وشرح العقيدة الطحاوية (٥٩٣/١).

(٣) تقدم تخريجه ص (١٩).

(٤) انظر: روح المعاني (٧٤/٩).

(٥) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٤٥/٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٣٥/١٠)، وقال ابن كثير في

تفسيره (١٢٦/٢، ١٥٠) ونسبه للكتب المتقدمة (١٥١/١)، (٢٢٦/٢): "وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: يا

موسى إنه لا يراني حي إلا مات... وهذا الصبر يوحى بأنما من الإسرائيليات.

(٦) روح المعاني (٧٤/٩).

المطلب الثالث: الترجيح :

بعد عرض مسالك العلماء في هذه المسألة وأدلة كل منهم يظهر حلياً أن الراجح - والله تعالى أعلم بالصواب - بالنسبة للقسم الأول من مسالك العلماء المسلك الأول وهو أن الإدراك ليس هو الرؤية المطلقة ؛ وإنما هو الرؤية على وجه الإحاطة بخوانب المرنى، وأن معنى قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لا تحيط به الأبصار، فالمنفي في الآية الإدراك المشعر بالإحاطة والكنه، أما مطلق الرؤية فلا تدل الآية على نفيه بل هو ثابت بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة - التي تقدم ذكرها - وباتفاق أهل السنة والجماعة على ذلك .

أسباب الترجيح:

١ - موافقة هذا المسلك لما جاء في كتاب الله عز وجل من الآيات القرآنية وما جاء في سنة نبيه ﷺ من الأحاديث وقد تقدم ذكر بعضها^(١).

٢ - أنه قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم.

٣ - أنه روى معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره^(٢)، ولقد رجح هذا المسلك شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣).
والشيخ الشنقيطي^(٤) - رحمه الله - .

أما بالنسبة للمسالك الأخرى فإن فيها تكليفاً، ولا يحتاج إليها.

قال ابن تيمية - رحمه الله - : "ولا تحتاج الآية إلى تخصيص ولا خروج عن ظاهر الآية، فلا نحتاج أن نقول: لا نراد في الدنيا، أو نقول: لا تدركه الأبصار؛ بل المصورون، أو لا تدركه كلها؛ بل بعضها ، ونحو ذلك من الأقوال التي فيها تكلف"^(٥).

وأما استدلال نفاذ الرؤية هذه الآية على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة فهو استدلال باطل ومردود؛ لأنه مبني على فهم خاطئ للآية.

فأما الوجه الأول من أوجه استدلالهم بالآية: وهو أن الإدراك المقرون بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية وقد نفى، والنفسى عام لجميع الأبصار في جميع الأوقات والأزمان فالجواب عليه : أن هذا افتراء على اللغة ، وأنه مجرد دعوى لا دليل عليها.

وقد رد على هذه الدعوى ابن حزم في الفصل فقال: "واحتجحت المعتزلة بقوله عز وجل ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ، وقال أبو محمد : هذا لا حجة لهم فيه؛ لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك ، والإدراك عندنا في اللغة معنى زائد على النظر والرؤية، ومعنى الإحاطة ليس هذا المعنى في النظر والرؤية ، فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال الدنيا والآخرة"^(٦).

وأما الوجه الثاني : وهو قولهم: "إن الله تمدح بأنه لا يرى"

(١) راجع ص (١٤-١٨) من هذا البحث .

(٢) راجع ص (١٩) من هذا البحث .

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية (٢٣/٢).

(٤) انظر: دفع إبهام الاضطراب ص (٢٨٠).

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية (٢٢٠/٢-٢٢١).

(٦) انظر: المصدر نفسه (٣١٧/٢).

فالجواب عليه . أن كلامهم هذا مجرد دعوى لا دليل عليها ، ونسبت المدح في سياق الكلام لا يعتبر دليلاً على امتناع الرؤية ، بل هو دليل على صحة الرؤية؛ لأنه يمتنع حصول التمدح بنفي الرؤية لو كان تعالى في ذاته بحيث يمتنع رؤيته ؛ بل إنما يحصل التمدح لو كان بحيث تصح رؤيته ، ثم إنه تعالى يحجب الأبصار عن رؤيته^(١).

أما القسم الثاني من مسالك العلماء فالراجع فيه - والله تعالى أعلم - : المسلك الأول وهو أن معنى قوله تعالى: {لَنْ تَرِنِّي} أي: لن تراني في الدنيا أو في الخال ، فالآية نفت الرؤية في الدنيا ولم تنف ثبوها في الآخرة.

أسباب الترجيح:

١- أن هذا المسلك موافق لما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولقد بينا ذلك فيما سبق.

٢- أن سياق الآية يدل عليه؛ حيث إنه تعالى أحاب موسى عندما قال: {وَبَيِّنْ لِّي آيَاتِكَ} بقوله: {لَنْ تَرِنِّي} - أي: لن تستطيع أن تراني - ؛ وذلك لضعف قوته البشرية عن رؤيته تعالى ، ولم يقل سبحانه: لا تراني ، أو لست بمركبي ، أو لا تحوز رؤيتي ، فدل ذلك على أنه - سبحانه - يرى . ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر عن رؤيته تعالى ، فقوله: {لَنْ تَرِنِّي} أي: في الدنيا . وأما في الآخرة فيحكم رؤيته تعالى ؛ لدلالة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على ذلك ، وقد تقدم ذكرها.

٣- أنه قول جمهور المفسرين وأهل العلم ، كما أنه قول أهل اللغة أيضاً.

٤- كما يؤيد هذا المسلك الأدلة التي استدلت بها أصحابه على أن "لن" لا تفيد تأكيد النفي إلا بقرينة والتي تقدم ذكرها^(٢).

أما المسلك الثاني: وهو أن نفي الرؤية في قوله: {لَنْ تَرِنِّي} أي: لن تراني وأنت باقٍ على حالتك التي أنت عليها حين السؤال من غير أن يعقها صعب فهو بعيد ولم يقل به أحد من العلماء سوى الألويسي .

وأما احتجاج نفاة الرؤية بهذه الآية على نفيها في الدنيا والآخرة.

فالجواب عليه: أنه لا دلالة في هذه الآية على ما يزعمون ؛ بل هي دليل عليهم ، وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه؛ بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله ، ولو كان محالاً لأنكره عليه ، كما أنكر سبحانه سؤال نوح ربه نجاة ابنه وقال: {إِنِّي أَعْطِيكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَنَّةِ} [هود: ٤٦].

الثالث: أنه أحابه بقوله: {لَنْ تَرِنِّي} ولم يقل: لا تراني ، ولا إني لست بمركبي ، أو لا تحوز رؤيتي ، والفرق بين الجوابين ظاهر؛ ألا ترى أن من كان في كفه حجر فظنه رجل طعماً ، فقال: أطعمنيه ، فالجواب الصحيح: إنه لا يؤكل ، أما إذا

(١) انظر: رؤية الله تعالى وتغيب الكلام فيها ص (٣٩).

(٢) راجع ص (٢٤) من هذا البحث .

كان طعاماً صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تتحمل فساد رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى.

الرابع: قوله: ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَوْنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتحليه في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف ١٩.

الخامس: أن الله سبحانه قادرٌ على أن يجعل الجبل مستقراً، وذلك ممكن، وحائز، وقد علق به الرؤية والعلق على الجائر حائز، فيلزم كون الرؤية في نفسها حائزة، ولو كانت محالاً لكان نظره أن يقول: إن استقر الجبل فسوف أكل وأشرب وأنام، والكل عندهم سواء.

السادس: تجلّى الله تعالى للجبل، وهذا التحلي هو الظهور.

قال القرطبي: "يجلّى معناه: ظهر، من قولك: جَلَوْتُ العروس أي: أبرزتها، وجلوت السيف: أبرزته من الصدأ جلاء فيهما، وتجلّى الشيء: انكشف" (١).

والمقصود لإعلام نبي الله موسى عليه السلام أن الإنسان لا يطيق رؤية الله تعالى؛ حيث إن الجبل مع قوته وصلابته لما رأى الله تعالى أنك وتفرقت أجزاءه فبدأ مسوئاً بالأرض مدكوكة، وحيث جاز أن يتجلّى للجبل - الذي هو حماد لا ثواب له ولا عقاب -، فكيف بمنع أن يتجلّى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويرىهم نفسه ١٩.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، وجاز عليه التكلم التكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة فرويته أولى بالجواز؛ ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما؛ فأنكروا أن يكلم أحداً أو يراه أحد (٢).

وأما استدلالهم هذه الآية على نفي الرؤية فهو استدلال باطل، وإليك الجواب على كل وجه من أوجه استدلالهم: فأما الوجه الأول - وهو قولهم: إن "لن" موضوع للتأيد، وإذا لم يره موسى أبداً لم يره غيره إجماعاً.... - فالجواب عليه: أن هذا افتراء على اللغة، وليس يشهد بصحته كتاب معتبر، ولا نقل صحيح، فإن "لن" حرف بغيد النفس بغير دوام ولا تأيد إلا بقرينة خارجية عنه (٣). قال جمال الدين بن مالك - رحمه الله -:

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقله اردد وخلافه اعضداً (٤).

قال الرازي: "إن "لن" لتأكيد نفي ما وقع السؤال عنه، والسؤال إنما وقع عن تحصيل الرؤية في الحال، فكان قوله عز وجل: ﴿لَنْ تَرَوْنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] نفي لتلك المطلوب، فأما أن بغيد النفي الدائم فلا" (٥).

وأما الوجه الثاني - وهو قولهم: "إنه سبحانه علق الرؤية باستقرار الجبل بحال تحركه دالاً بذلك على أن الرؤية مستحيلة عليه كاستحالة استقرار الجبل حال تحركه....".

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٠/٧).

(٢) انظر: حادي الأرواح ص (٤٠٣، ٤٠٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢٨٩/١ - ٢٩٠) شرح المقاصد لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازان (١٨٠/٤ - ١٨٦) الانتصار في الرد على المنزلة القدسية الأضرار (٦٤٢/٢ - ٦٤٣)، وللمنزلة اعتراضات على هذه الأوجه. انظر هذه

الاعتراضات والجواب عليها في كتاب: رؤية الله وتحقيق الكلام فيها ص (٧٤ - ٩٠).

(٣) انظر: النحو الواي (٢٨١/٤)، بدائع الفوائد (٩٥/١ - ٩٦).

(٤) من الكافية الشافية في علم العربية، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك ص (٨٦).

(٥) التفسير الكبير (١١٩/٤).

فالجواب عليه: أنه علقها باستقرار الجبل من حيث هو من غير قيد بحال الحركة أو السكون ، وإلا لزم الاحتمال في الكلام، واستقرار الجبل من حيث هو ممكن قطعاً ، فلو فرض وقوعه لما لزم منه محال لذاته، واستقراره عند حركته ليس بمحال؛ إذ قد يحصل الاستقرار بدل الحركة ولا محذور فيه ؛ إذ المحال الاستقرار مع الحركة في آن واحد ؛ لا وقوع شيء، منهما في وقت آخر بدل صاحبه ^(١).

وأما الوجه الثالث وهو قولهم: "لو كانت الرؤية جائزة فلم يخر موسى صقلاً عند سؤالها؛ لقوله تعالى {وَحَرَّ مُوسَى صِقْلًا} ومعناه: مغشياً عليه غشية الموت ، وروي الملائكة ... " إلخ - فالجواب عليه : أنه ليس في قوله: {وَحَرَّ مُوسَى صِقْلًا} دلالة على المنع؛ بل إن دلالتها على الجواز أقرب؛ فإن الصق لم يحدث لموسى عليه السلام إلا عندما رأى الجبل يتدكك لما تجلى له الرب تبارك وتعالى ظهوراً . أو على القول بأن موسى رأى ربه - على ضعفه - فصق، وهذا يدل على الجواز ، وإنما كان الصق نتيجة لعدم تحمل موسى رؤية الله تعالى في هذه الدار الفانية ^(٢).

أما الوجه الرابع وهو قولهم : "إن قوله تعالى {سبحانك} أي: أنزهك مما لا يجوز عليك ، فوجب أن يكون المراد منه تزيه الله تعالى عما تقدم ذكره، والذي تقدم ذكره هو رؤية الله تعالى. فكان قوله: {سبحنك} تزيهاً له عن الرؤية ، فثبت بهذا أن نفى الرؤية تزيه الله تعالى، وتزيه الله إنما يكون عن النقائص والآفات، وذلك على الله محال، فثبت أن الرؤية على الله محتملة" - فالجواب عليه: صحيح أن المراد من قوله "سبحانك" تنزيه الله تعالى وتعظيمه وإجلاله مما لا يجوز عليه، لكن الذي لا يجوز عليه هو الرؤية في الدنيا لا الرؤية مطلقاً كما زعمتم.

فموسى - عليه السلام - قال: "سبحانك" لما تبين له من أن العلم قد سبق بعدم وقوع الرؤية في الدنيا ، والله تعالى مرء عن وقع خلاف معلومه وعن الخلف في حيره الحق وقوله الصدق، فلما تبين أن مطلوبه كان خلاف المعلوم فسبح الله وقس علمه وخبره عن الخلف ^(٣).

وأما ادعائكم بأن الرؤية من النقائص فهو ادعاء باطل يدل على ذلك أنها ليست نقصاً في المخلوق ؛ بل هي كمال، وكل كمال اتصف به المخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق فالخالق أول، وقد أثبتنا الله نفسه، وأثبتنا له رسول الله ﷺ ، وطلبها موسى - عليه السلام - فكيف يصح أن ندعي أنها من النقائص ؟ ومن أين لنا القول في هذا؟ إلا إذا كنتم أعرف بما يجوز على الله ويمتنع من نفسه، وأعرف من رسله - عليهم الصلاة والسلام - ؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ^(٤).

وأما الوجه الخامس وهو قولهم: إن طلب الرؤية ذنب؛ لقوله تعالى عن موسى لما أفاق أنه قال : "ثبت إليك" ولولا أن طلب الرؤية ذنب لما تاب منه ولولا أنه ذنب ينافي صحة الإسلام لما قال: "وأنا أول المؤمنين" بأنك لست بمرئسي، ولا تدرك بشيء من الحواس.

(١) شرح المواقف لعلي بن محمد الجرحاني (١٢١/٨) وانظر: الانتصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال (٥٠/٢) .

(٢) رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها ص (٤٧).

(٣) انظر : الانتصاف (٥٠/٢) من هامش الكشف.

(٤) انظر : رؤية الله وتحقيق الكلام فيها ص (٤٧).

فالجواب عليه: ما قاله الباقر في التمهيد: "ويقال لهم في قوله تعالى: تبت إليك" أنه لم يقل - جل اسمه - : أنه تاب من مسأله إياه الرؤية، فيمكن أن يكون ذكر ذنوبه له قد قدم التوبة منها، فجدد التوبة عند ذكرها لمول ما رأى؛ كما يسارع الناس إلى التوبة ويجددونها عند مشاهدة الأحوال والآيات، ويحتمل أن يكون المعنى في قوله: "تبت إليكم" من ترك استئذان لك في هذه المسألة العظيمة، ومطلها لا يكون معه تكليف لمعرفة العلم بك، ويحتمل أن يكون أراد بقوله: "تبت إليك" أن أسألك الرؤية لمول ما أصابني؛ لا لأنها مستحيلة عليك، ولا لأني عاص في سؤالي، كما يقول القائل: تبت من كلام فلان ومعاملته وركوب البحر ومن الحج ماشياً، إذا ناله في ذلك تعب ونصب وشدة وإن كان ذلك مباحاً حسناً جائزاً، والتوبة هي: الرجوع عن الشيء، ومن ذلك سمي الإقلاع عن الذنوب والعودة إلى طاعة الله توبة منها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨]: أي رجع بهم إلى الفضل والامتنال ليرجعوا عما كانوا عليه. فقوله: "تبت إليك" أي: رجعت عن سؤالي إياك الرؤية، وهذا هو أصل التوبة، وليس الرجوع عن الشيء يقتضى كونه عصيانياً؛ فبطل تعليقهم بالآية^(١).

وقال القرطبي: "قال مجاهد في قوله: "تبت إليك": من مسألة الرؤية في الدنيا... وقيل: قاله على جهة الإنابة والخشوع له عند ظهور الآيات - كما مر - ، وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت معصية"^(٢).

وبناءً عليه يتضح لنا أنه لا تنافي ولا تعارض بين قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُؤْمِنٌ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] والآيات المثبتة لرؤية الله تعالى في الآخرة، وأنه لاحقة للنفاة في هاتين الآيتين على نفي الرؤية؛ بل يمكن اعتبارهما من أدلة إثبات الرؤية.

ويؤيد هذا الأحاديث المتواترة الصريحة عن الرسول ﷺ في الرؤية والتي سبق ذكرها، والله تعالى أعلم.

وتختم الكلام في هذه المسألة بآيات قالها ابن القيم - رحمه الله - في نونيته^(٣)، مبيهاً فيها أن القرآن والسنة المتواترة قد دلت على رؤية المؤمنين ربه في الآخرة وأنه لا ينكر ذلك إلا فاسق الإيمان:

ويرويه سبحانه من فوقهم	نظر العيان كما يرى القمران
هذا تواتر عن رسول الله لم	ينكره إلا فاسق الإيمان
وأتى به القرآن تصريحاً وتعر	يضاً مما بيّاه نوعان
وهي الزيادة قد أتت في يونس	تفسر من قد جاء بالقرآن
وهو المزيد كذلك فسر أبو	بكر هو الصديق ذو الإقنان
وعليه أصحاب الرسول وتابعو	هم بعدهم تبعه الإحسان

فنسأل الله - عز وجل - أن يمننا بالنظر إلى وجهه الكريم في جنات النعيم، وأن يجعلنا ممن قال فيهم وهو أصدق

القائلين: ﴿يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَقُونَ، سَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤]

(١) ص (٢٧٠، ٢٧١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠١/٧).

(٣) انظر: شرح القصيدة النونية المسماة "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" لابن القيم الجوزية، شرح وتحقيق محمد خليل هراس ص

الخلاصة

الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً على تيسيره وتسهيله وإعانتته وتوفيقه إياي لإتمام هذا البحث على هذا النحو ، وأسأله عر وحل كما هيا أسباب هذا البحث ويسر أدائه وكتابته أن يتلقاه بالرضا والقبول ، وأن يجعله عملاً صالحاً نافعاً.

وفيما يلي عرض لأهم نتائج هذه الدراسة:

- ١ - إن التعارض الحقيقي بين آيات القرآن لا يتصور بحال؛ بل هو من المستحيلات ؛ فهو كتاب أحكمت آياته، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .
- ٢ - إن ما يوهم من تعارض بين آيات القرآن إنما هو صوري في نظر المجتهد وفهمه فقط؛ أما في الحقيقة فليس هناك تعارض أبداً، وأن التوهم ناشيء عن تقصير في الفهم، أو عدم تدبر ، أو سوء قصد تجاه كتاب الله تعالى من قبل أعداء الإسلام.
- ٣ - إن المسلك الوحيد لدفع التعارض المتوهم بين نصوص العقيدة إنما هو الجمع فقط ؛ لأنه قد تقرر أن السج لا يقع في الأحبار المحضة والعقائد.
- ٤ - إن القول الذي عليه أكثر أهل السنة والحديث أن الله تعالى عيني تليقان بجلاله وعظمته لا تكيفان ولا تشبهان أعين المخلوقين.
- ٥ - إن معية الله تنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة ؛ فالعامة هي الشاملة لجميع الخلق ، ومقتضاها : العلم، والإحاطة، والسمع، والبصر، ونفوذ القدرة والخاصة إنما هي لأنبيائه وأوليائه - سبحانه - ومقتضى هذه المعية: النصر، والتأييد، والإعانة، والتسديد.
- ٦ - إن المؤمنين يرون ربه يوم القيامة في الجنة رؤية تتمم وإكرام كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة؛ وأما قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ﴾ فالمنعني فيها الإدراك ؛ وهو قدر رائد عن الرؤية؛ إذ هو الرؤية على وجه الإحاطة بجوانب المرئي وأما قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَّ﴾ فالمراد منها نعي الرؤية في الدنيا.

التوصيات :

- ختام الحديث في هذا البحث وصايا أعتها لكل مسلم ؛ لعل الله أن ينفع بها من كتبها وقراها ، فأوصي عامة المسلمين
- ١ - الاعتصام بالكتاب والسنة، والإقبال عليهما قراءة وفهماً وتعلماً ، واستقاء العقيدة الصافية النقية منهما ، ونحسب كل ما يكدر هذه العقيدة من الشوائب والأباطيل التي تستند إلى عقول حثالة البشر وأوهامهم وظنوهم ؛ من علم الكلام والمنطق والفلسفة والكشف والمنامات ونحوها.
 - ٢ - احرص على اتباع مهج السلف الصالح في فهم العقيدة؛ إذ هو المنهج الذي بالتمسك به تصبح الأمة تحق أمة مسلمة تستحق نصر الله ورضوانه والتمكين في الأرض.
 - ٣ - كما أوصي طلاب وطالبات الدراسات العليا بالاهتمام بالدراسات القرآنية العقيدية، والدفاع عن كتاب الله، ورد شبهات الحافدين والملاحدين.

والحمد لله رب العالمين والسلام على المرسلين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

- ١- الإبانة عن أصول الديانة: لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشر محمد عيون ، ط ٤، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مكتبة دار البيان ، مصر/مكتبة المؤيد، الرياض.
- ٢- إزالة السار عن الجواب المختار لهداية المختار: محمد بن صالح العثيمين ، مطابع الكتاب، الرياض.
- ٣- الأسماء والصفات: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق وتعليق وفهرسة: عماد الدين أحمد حيدر، ط ٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٤- أعضاء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار الفكر ، بيروت - لبنان.
- ٥- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، السلام العالمية، مصر.
- ٦- إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان: لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قسيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، حققه وكتب هوامشه : محمد حامد القلي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان.
- ٧- التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة: لأبي بكر محمد بن الحسين الأجرى (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: سمر بن أمين الزهري ، ط ١، ١٤٠٨هـ، دار الرسالة ، بيروت - لبنان .
- ٨- تفسير البغوي (معالم التنزيل): لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبدالله النمر ، وعثمان جمعة خيرية، ومليمان مسلم الحمرش ، ط ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار طيبة ، الرياض - المملكة العربية السعودية .
- ٩- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، ط ٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، المكتبة العصرية ، بيروت.
- ١٠- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان.
- ١١- تليس إبليس: لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧هـ) المكتبة التجارية - مصطفى الباز ، مكة المكرمة.
- ١٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لأبي عمر يوسف بن عبدالله ابن محمد بن عبدالر الأندلسي (ت ٤٦٣هـ)، ط ٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، تحقيق أسامة بن إبراهيم ، دار الفاروق الحديثة ، القاهرة.
- ١٣- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: لأبي الحسين بن أحمد بن عبدالرحمن اللطفي الشافعي (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق وتعليق: محسن بن سعد الدين المياديني ، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار رمادي ، الدمام، المملكة العربية السعودية.
- ١٤- تذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ) حققه وقدم له: عبدالسلام هارون ، دار القومية العربية للطباعة.
- ١٥- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ) دارسة وتحقيق: د/ عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان ، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، مكتبة الرشد ، الرياض.
- ١٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م قسّم له: خليل المس ، ضبط وتوثيق وتخرّيج: صديقي جميل العطار، دار الفكر ، بيروت - لبنان.

- ١٧- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (أو وصف الجنة): لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ)، حقق نصره وخرجه يوسف علي بدري، راجعه وقدم له: محيي الدين مترو، ط ٣، ١٣٩٣هـ - ١٤١٣هـ، دار ابن كثير، دمشق - بيروت.
- ١٨- الحجة في بيان الحجية وشرح عقيدة أهل السنة: لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ)، تحقيق ودراسة: محمد بن ربيع بن هادي عمر المدخلي، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار الراية، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ١٩- دفع إيهام الاضطراب (ملحق بأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٢٠- رؤية الله وتحقيق الكلام فيها: إعداد: أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، عام ١٤١١هـ - ١٩٩١.
- ٢١- الرد على الجهمية: لأبي ساعد الدارمي (ت ٢٨٠هـ)، مطبوع ضمن عقائد السلف، جمع: د/ علي سامي النشار وعمار الطائي، ١٩٧١م، نشر منشأة المعارف، الإسكندرية.
- ٢٢- الرد على الزنادقة والجهمية: لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مطبوع ضمن عقائد السلف، جمع: د/ علي سامي النشار، وعمار الطائي، ١٩٧١م، منشأة المعارف الإسكندرية.
- ٢٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البهبادي (ت ١٢٧هـ)، قرأه وصححه: محمد حسين العرب، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٢٤- زاد المسير في علم النفس: لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: أحمد شمس الدين، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٢٥- شرح الأصول الخمسة لعبدالجبار بن أحمد، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي حاتم، تحقيق: د/عبدالكريم عثمان، ط ١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م، مكتبة وهبة مصر.
- ٢٦- شرح العقيدة الطحاوية: لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت ٧٩٢هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: د/ عبد الله بن عبد الغفار التركي. شعيب الأرنؤوط، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ٢٧- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية شرحه: محمد الصالح العثيمين، خرج أحاديثه واعتمد به: سعد بن فوزان الصميل، ط ٤، ١٤١٧هـ، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية.
- ٢٨- شرح المواقف: للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، ط ١، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، مطبعة السعادة، مصر.
- ٢٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم: لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكساني (ت ٤١٨هـ)، تحقيق: د/ أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط ٥، ١٤١٨هـ، دار طيبة، الرياض.
- ٣٠- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لأبي عبد الله عبيد الله بن بطة العسكري، تحقيق ودراسة: د/ رضا بن نعمان معطي، ط ٢، ١٤١١هـ، مطبع الصفا، مكة المكرمة.
- ٣١- الشريعة: لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ)، دراسة وتحقيق: د/ عبد الله بن عمر السديجي، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الوطن، الرياض.
- ٣٢- عظمة المنة في رؤية المؤمنين وهم في الجنة: تأليف عبدالرحمن بن شيملة الأهدل، مكتبة الطالب الجامعي - مكة المكرمة.

- ٣٣- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: لتركيبا الأنصاري (٩٢٦هـ) تحقيق: إسماعيل الدين عبدالموجود محمد ، دار الكتاب الجامعي، القاهرة .
- ٣٤- الفصل في الملل والأهواء والنحل: لأبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي الظاهري (٤٥٦هـ)، وضع حواشيه: أحمد شمس الدين ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٣٥- الكشف عن حقائق غوامض التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للعلامة جبار الله أبي القاسم محمود عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد مصوف ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، مكتبة المبيكان.
- ٣٦- لسان العرب : لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ) ط١ ، ٢٠٠٠م ، دار صادر - بيروت.
- ٣٧- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرر المضية في عقيدة الفرق الموضعية: غميد بن أحمد السفاريني ، ط٣ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار الحفاني - الرياض.
- ٣٨- من الكافية الشافية في علم العربية: مطبعة الهلال بالقجالة بمصر.
- ٣٩- مجموع الفتاوى : لتقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، أعنتى لها وخرج أحاديثها : عامر الجزار - أنور الباز ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، مكتبة المبيكان ، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ٤٠- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمانى ، ط٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الفرياء للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ٤١- مجموعة الرسائل والمسائل: لتقي الدين ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، ط٢ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان.
- ٤٢- محمد بن عثمان بن أبي شيبة وكتابه العرش: دراسة وتحقيق : د/ محمد بن خليفة التميمي، ط١ ، ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
- ٤٣- المختار من الإبانة عن شريعة الفرق الناجية: لأبي عبيد الله عبدالله بن محمد بطه العكيري، تحقيق: الوليد محمد نبيه بن يوسف النصر، ط١ ، ١٤١٨هـ ، دار الراءة.
- ٤٤- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة : لابن القيم الجوزية الدمشقي، (ت ٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن الموصلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان.
- ٤٥- معاني القرآن الكريم : لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق : محمد علي الصابوني ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٦م، إصدار معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، بمكة المكرمة.
- ٤٦- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٣٠هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحمد، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، المطبعة العصرية ، بيروت - لبنان.
- ٤٧- منهاج السنة النبوية: لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق : محمد بن رشاد بن سالم ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
التمهيد: منهج السلف في باب الأسماء والصفات .	٤
المبحث الأول: ما جاء في صفة العين لله تعالى.	٧
المطلب الأول: ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض وبيان الوجه الموهم للتعارض.	٧
المطلب الثاني: مذاهب العلماء في دفع هذا الإيهام.	٧
المبحث الثاني: ما جاء في صفة المعية لله تعالى.	١٠
المطلب الأول: ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض وبيان الوجه الموهم للتعارض.	١٠
المطلب الثاني : مذاهب العلماء في دفع هذا الإيهام.	١٠
المبحث الثالث: ما جاء في رؤية المؤمنين وهم يوم القيامة.	١٣
المطلب الأول: ذكر الآيات التي قد يوهم ظاهرها التعارض وبيان وجه الموهم للتعارض .	١٣
المطلب الثاني: مسالك العلماء في دفع هذا الإيهام.	١٦
المطلب الثالث: الترجيح.	٢٤
الخاتمة	٢٩
فهرس المصادر والمراجع .	٣٠

